جامعة الملك عبد العزيز
كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
قسم التاريخ والحضارة الاسلامية
مكة المكرمة

لوحتان أثريتان

للسلطان قايتباى والسلطان سليمان القانونى
فى قسم التاريخ والحضارة الاسلامية
بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية

اعداد: د. محمد أنور شكرى

مطابع دار الثقافة
١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م

جامعة الملك عبد العزيز
كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
قسم التاريخ والحضارة الاسلامية
مكة المكرمة



للسلطان قايتباى والسلطان سليمان القانونى
فى قسم التاريخ والحضارة الاسلامية
بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية

اعداد: د. محمد أنور شكرى

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

بقلم الدكتور
راشد بن راجح الشريف
عميد كلية الشريعة والدراسات
الاسلامية بمكة المكرمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

عرفت سعادة الدكتور محمد انورشكرى رئيس قسم التاريخ والحضارة الاسلامية بالكلية سابقا وعضوالهيئة التدريسية بقسم التاريخ حاليا محبا للبحث العلمى وحريصا على تتبع الآثار والاهتمام بها ، وفي هذا البحث يكشف لنا سعادته جانبا كبيرا عن قيمة هذين اللوحين الاثريين من الناحية التاريخية الاسلامية . وكما يقال « تلك آثارنا تدل علينا » . وفي رأيي أن الآثار اذا درست بمفهوم اسلامى متميز كما في هذا البحث تكون ذات قيمة عملية وحضارية لا تنكر . وقد اجاد الدكتور في تحليل نقوش هذين اللوحين وتعرض لجوانب اخرى لها علاقة بالموضوع من حيث بناء المساجد وترميمها واقامة المدارس والاعتناء بالتراث الاسلامي في مكة المكرمة والمدينة المنورة باعتبارهما مهبط الوحى ومنبع الرسالة المحمدية ومنهما شع قبس الهداية فاضاء الدنيا باسرها .

وكلية الشريعة والدراسات الاسلامية ممثلة في قسم التاريخ والحضارة الاسلامية تولى اهتماما كبيرا للتراث والحضارة الاسلامية وتشجع البحوث العلمية التى تخدم العقيدة الاسلامية والتراث الاسلامى العريق كجزء من فلسفتها واهدافها النبيلة .

وفي الختام أكرر الشكر لسعادة الدكتور أنور وأرجو أن يعم الاهتمام بكل ما يخدم شريعتنا الغراء وتاريخها المشرق والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

مقدمة

الماء في مكة وعرفه

اقتنى قسم التاريخ والحضارة الاسلامية بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة لوحين من الحجر منقوشين ، احدهما للسلطان قايتباي والثاني للسلطان سليمان القانوني . ويسجل اللوح الاول امر السلطان قايتباي باجراء عين عرفة لوفد الله وضيوفه مع تنظيف قاعها وبناء بركها وقناتها لنفع اهل الشريعة وكان ذلك في سنة خمس وسبعين وثمانمائة (١٤٧٠ م) . ويسجل اللوح الثاني امر السلطان سليمان من آل عثمان باعادة اصلاح عين البركة المعروفة ببركة السلم وتجديد بناء هذه البركة « موردا لحجاج بيت الله الحرام ولسايره الخاص والعام ابتغا مرضات الله الملك العلام » ، وكان ذلك في سنة خمس وثلاثين وتسعمائة (١٥٢٨ م) .

وهكذا يسجل اللوحان عناية السلطانين بتوفير الماء لاهل مكة وللحجاج ، وقد كان توفيره لهم امرا بالغ الاهمية في زمن الجاهلية وفي زمن الاسلام ، ذلك لان مكة واد بين جبال عالية تقل فيه المياه ، وكانت عضلة وسلم ، وقد جاء في القرآن الكريم على لسان ابراهيم الخليل عليه السلام عندما خلف فيها هاجر وابنها اسماعيل بانها واد غير ذي زرع

اذ قال :

« ربنا انى أسكنت من ذريتي بوادغير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئـدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

الآية ٣٧ من سورة ابراهيم

ولا يخلو من مغزى أن من المفسرين من فسر اسم مكة بانه لقلة مائها من قولهم « امتك الفصيل ما في ضرع أمه » اذا لم يبق فيه شيئا (١) فضلا عن أنه كان من أسمائها أيضا « المعطشة » (٢) .

ومهما يكن من أمر فقد جاء أنه لما نفد من هاجر الماء وعطشت وعطش ولدها صعدت الى الصفا لعلها تجد أحدا بالوادي ، ولما لم تجد راحت تمشي بين الصفا والمروة سبع مرات ، ولما عادت الى وليدها خرج لها جبريل عليه السلام فهمز بعقبه مكان زمزم فنبع ماؤها فحاضته هاجر كي لا يضيع ، ثم استقت ودرت على ابنها ، ومن ثم عمرت مكة (٣) . ولم يزل أهل مكة ينتفعون بماء زمزم حتى درس موضعها وصار لا يعرف ، وقيل ان جرهما دفنتها حين أخرجت من مكة (٤) .

وجاء كذلك أنه كان بيد قصي بن كلاب مع الحجابة والرفادة والندوة واللواء والقيادة السقاية ، وكانت حياضا من أدم كانت توضع بفناء

---

١ ـ التقى الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ١ ص ٤٨ ، قطب الدين الحنفي : كتاب الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ، ص ٢٤ .

٢ ـ التقى الفاسي : ج ١ ص ، ٥ ، القطبي : ص ٢٥ .

٣ ـ التقى الفاسي : ج ١ ص ٢٤٧ .

٤ ـ نفس المرجع .

الكعبة ويسقى فيها الماء من الآبار على الابل يسقاه الحاج (١) . وكان قصى « حفر بمكة آبارا ، وكان الماء بمكة عزيزا ، انما يشرب الناس من آبار خارجة من الحرم » (٢) . وقبل وفاته جعل قصى السقاية مع الرفادة والقيادة لابنه عبد مناف ، (٣) ثم ولى السقاية والرفادة بعده ابنه هاشم وقد حفر بذر وسجلة (٤) . ولم يزل هاشم يسقى الحاج حتى توفى فقام بامر السقاية بعده عبد المطلب بن هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم وقد بوأه الله مكان زمزم فحفرها فعفت على آبار مكة كلها (٥) . وكانت له ابل كثيرة « فاذا كان الموسم جمعها ثم يسقى لبنها بالعسل في حوض من أدم عند زمزم ويشتري الزبيب فينبذه بماء زمزم ويسقيه الحاج لان يكسر غلظ ماء زمزم وكانت اذ ذاك غليظة جدا » (٦) . وكان للناس في بيوتهم أسقية يسقون فيها الماء من الآبار ثم ينبذون فيها الزبيب والتمر ليكسر عنهم غلظ ماء آبار مكة . وكان الماء العذب بمكة قليلا لا يتوفر الا لانسان يستعذب له من بئر ميمون وخارج من مكة . (٧) وعندما انتشرت قريش في مكة قلت عليهم المياه فأخذوا يحفرون الآبار في مكة (٨) .

---

١ ــ الازرقي : اخبار مكة وما جاء فيها من الآثار : جـ ١ ص ١١٠ ، القطبي : ص ٥١ .
٢ ــ الازرقي : جـ ١ ص ١١٢ ، التقى الفاسي : جـ ٢ ص ٨٩ .
٣ ــ الازرقي : جـ ١ ص ١١٠ ، التقى الفاسي : جـ ٢ ص ٧٥ و ٧٦ و ٧٩ و ٨٣ .
٤ ــ الازرقي : جـ ١ ص ١١٣ ، جـ ٢ ص ٢١٦ و ٢١٧ .
٥ ــ الازرقي : جـ ١ ص ١١٣ .
٦ ــ الازرقي : جـ ١ ص ١١٣ و ١١٤ .
٧ ــ الازرقي : جـ ١ ص ١١٤ ، عن بئر ميمون انظر الازرقي : جـ ٢ ص ٢٢٢ ، والتقى الفاسي : جـ ١ ص ٣٤٣ .
٨ ــ الازرقي : جـ ٢ ص ٢١٤ و ٢٢١ . التقى الفاسي : جـ ٢ ص ٨٢ .

وعن الماء في عرفة قبل الاسلام فقدجاء عن حج أهل الجاهلية أنهم كانوا اذا شاهدوا هلال ذى الحجة انصرفواالى ذى المجاز (١) فأقاموا بـه ثماني ليال ثم يخرجون يوم التروية (٢) منذى المجاز الى عرفة بعد أن يتسرووا ذلك اليوم من الماء بذى المجاز ٠ وكان بعضهم ينادي بعضا : ترووا من الماء لانه لاماء بعرفة ولا بالمزدلفة (٣) ٠

ولما توفى عبد المطلب قام بأمر السقاية بعده ابنه العباس في الجاهلية وكان له كرم بالطائف وكان يحمل زبيبه اليها ، وكان يداين أهل الطائف ويقتضي منهم الزبيب وفاء لدينه ،فينبذ ذلك كله ويسقيه الحاج أيام الموسم حتى ينقضي ٠ وعندما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح أمضى السقاية للعباس ،فكانت في يده حتى توفى فوليها بعده عبد الله بن العباس رضي الله تعالى عنهما ثم ولده من بعده (٤) ٠

وقد جاء أن معاوية بن أبي سفيان أجرى في الحرم عيونا عشر ، واتخذ لها أخيافا فكانت حوائط فيها النخل والزرع (٥) ٠ وحدث أن انقطعت عيون معاوية فأمر أمير المؤمنين هرون الرشيد « بعيون منها فعملت وأحييت وصرفت في عين واحدة يقال لها الرشا » (٦) ٠ ثم كان أهل مكة والحاج بعد تقطع هذه العيون في شدة من الماء حتى ان الراوية كانت تبلغ في

---

١ ـ ذو المجاز سوق بعرفة ، انظر ايضا مجلة المنهل ، ج ٦ سنة ٣٨ مجلد ٣٣ جمادى الثانية ١٣٩٢ ص ٦٦٢ ٠

٢ ـ سمى يوم التروية لترويهم من الماء بذى المجاز ٠

٣ ـ الازرقي : ج ١ ص ١٨٨ ، التقى الفاسي : ج ٢ ص ٢٨٢ ٠

٤ ـ الازرقي : ج ١ ص ١١٤ وما بعدها ٠

٥ ـ الازرقي : ج ٢ ص ٢٢٧ وما بعدها ،انظر أيضا التقى الفاسي : ج ١ ص ٣٤٦ ٠

٦ ـ الازرقي : ج ٢ ص ٢٣٠ ٠

الموسم عشرة دراهم وأكثر أو أقل (١) • ويذكر الازرقي أنه لما بلغ ذلك أم جعفر بنت أبى الفضل جعفر ابن أميرالمؤمنين المنصور (٢) أمرت فـي سنة أربع وتسعين ومائة (٨٠٩ م) بحفر بركتها التي بمكة وأجرت لها عينا من الحرم « فجرت بماء قليل لم يكن فيه رى لاهل مكة وقد غرمت في ذلك غرما عظيما » (٣) • لذلك أمرت « جماعة من المهندسين أن يجروا لها عيونا من الحل ، وكان الناس يقولـون ان ماء الحل لا يدخل الحرم لانه يمـر عـلى عقاب وجبال » • ولما بلغ العمل ثنية خل ، وهي منتهى الحرم من طريـق العراق ، وجـد أن الماء لا يظهـر في الجبل فأمـرت بأن يضرب لعينها في الجبل فجرى الماء فيها ثم أجرت عيونا من الحل واتخذت لها بـركا تتجمـع فيها السيول • واشترت حائط حنين وأبطلت ما فيه من مزارع ونخيـل ، وكان الماء يجري اليه من سفح جبـل شاهق يسمى طاد ، وجعلت حائطـه سدا يجتمع فيه السيـل • وشقت للماء قنـاة في الجبـال وجعلت لهـا الشحاحيذ عند كل جبل يظن أن الماء يتجمع عند سفحه ، فصار كل شحاذ عينا يمـد القناة بالماء ، منهـا عين مشاش وعين ميمون وعين الزعفـران وعين البرود وعين الصرفة أو الطارقي وعين ثقبة وعين الخريبات • وتنصب مياه جميع هذه العيون في دبـل (٤) عين حنين (٥) حسب كميـة الامطار التي تسقط عليها ومن ثم تصـل الى مكة المشرفة • ويذكر الازرقي أن أم

---

١ ـ الازرقي : جـ ٢ ص ٢٣٠ وما بعدها •

٢ ـ هي زبيدة زوجة هرون الرشيـد •

٣ ـ الازرقي : جـ ٢ ص ٢٣١ ، انظر أيضا التقى الفاسي : جـ ١ ص ٣٤٦ وما بعدها •

٤ ـ الدبل الجدول لانه يدبل أي ينقي ويصلح والجمع دبول •

٥ ـ عن عين حنين انظر القطبي : ص ٢٨٣ وما بعدها ، والازرقي :جـ ٢ ، ملحق رقم ٤ ص ٣٢٧ وما بعدها • وعن وادي حنين انظر مجلة المنهل جـ ٦ سنة ٣٨ مجلد ٣٣ جمادى الثانيـة ١٣٩٢ ص ٦٦١ وما بعدها •

جعفر « أنفقت في ذلك من الاموال مالم يكن تطيب به نفس كثير من الناس » ، ثم يعود فيقول انــه « طابت نفسها بالنفقة فيها بما لـم تكن تطيب نفس احد غيرها به ، فأهل مكة والحاج انما يعيشون بها بعد الله عز وجل » (١) . ويذكـر التقى الفاسي والقطبي انها أنفقت على عملها ألف ألف وسبعمائة ألف مثقال من الذهب (٢) . وجاء أن المباشرين بعد أن أتموا العمل اجتمعوا عند زبيدة ومعهم دفاترهم ليبرئـوا ذمتهم مما كان لديهم مـن أمـوال ، وكانت في قصر يشرف على الدجلـة فأمرت بأن يلقى بالدفاتر في النهـر وقالت : « تـركنا الحساب ليوم الحساب فمن بقي عنده شيء من بقية المال فهو له ، ومن بقي له عندنا شيء أعطيناه » ، ثـم منحتهـم الخلـع الثمينة (٣) .

وأجرت أم جعفر عينا أخرى مـن سفح جبل كرا ، وهو جبل شامـخ في منتهى وادي نعمان ، (٤) الى موضع يقال له الاوجر ثم الى عرفة حول جبل الرحمة ، حيث تتفرع الى البرك فـي أرض عرفة ، ثم مـن عـرفـة الى المازمين (٥) ومنهما الى مزدلفة ثم الى جبل خلف منى الى أن تصب في بئـر عظيمة مطوية بأحجار ضخمـة تسمى بئر زبيدة . وقد قيل انه لضخامـة

---

١ ـ الازرقي : جـ ٢ ص ٢٣١ وما بعدها .
٢ ـ التقى الفاسي : جـ ١ صـ ٣٤٧ ، القطبي : ص ٢٨١ .
٣ ـ القطبي : ص ٢٨١ وما بعدها ، ابراهيم رفعت باشا : مرآة الحرمين ، جـ ١ ص ٢١٤
٤ ـ عن وادي نعمان انظر مجلة المنهل جـ ٨ سنة ٣٨ مجلد ٣٣ شعبان ١٣٩٢ ص ٨٤٦ وما بعدها .
٥ ـ المازمان . هما ما يسميه أهـل مكـة « المضيق » بين مزدلفة وعرفة . انظـر مـرآة الحرمين : جـ ١ ص ٣٤٠ .

بنائها قد يتوهمانها من عمل الجن (١) أو العمالقة (٢) . على أية حال لقد وقف العمل عند ذاك وصارت عين نعمان (عين عرفة) خاصة بعرفة ومنى آنذاك (٣) .

وفي سنة عشر ومائتين (٨٢٥ م) أمر أمير المؤمنين صالح بن العباس « أن يتخذ له بركا خمسا في السوق ، لئلا يتعنى أهل أسفل مكه والثنية وأجيادين والوسط ، الى بركة أم جعفر » (٤) . فأجرى عينا من فضل ماء بركة أم جعفر تسكب في بركة البطحاء ومنها الى بركة عند الصفا ثم الى بركة عند الحناطين ثم الى بركة بفوهة سكة الثنية ثم الى بركة عند سوق الحطب ثم الى بركة ماجل أبي صلاية ، (٥) ثم الى الماجلين اللذين بأسفل مكة . وعندما فرغ منها صالح بن العباس وجرى فيها الماء وقف عليها مع وجوه الناس ونحر عند كل بركة جزورا وقسم لحمها على الناس .

وفي سنة احدى وأربعين ومائتين (٨٥٥ م) اهتزت أرض مكة بالزلازل فغارت عيونها فأرسل المتوكل « ألف مائة دينار » ذهب لاجراء ماء عين عرفة الى مكة (٦) . على أن العيون والبرك والآبار انما كانت تستمد

---

١ ـ القطبي : ص ٢٨٢ وما بعدها ، عبد الله الزواوي : رسالة بغية الراغبين وقرة عين أهل البلد الامين فيما يتعلق بعين الجوهرة السيدة زبيدة أم الامين : ص ٧ .

٢ ـ عبد القادر ملا قلندر : الخلاصة المفيدة لاحوال عين زبيدة : ص ٦ ، أغفل الازرقي والتقى الفاسي ذكر هذه العين ، ولعل ذلك يرجع الى أنها لم تصل الى مكة . انظر ملحق رقم ٤ عن عين زبيدة في نهاية الجزء الثاني من كتاب الازرقي ص ٣٢٧ .

٣ ـ الزواوي : ص ٧ .

٤ ـ الازرقي : جـ ٢ ص ٢٣٢ .

٥ ـ وتعرف ببركة ماجل أو ماجن ، انظر الازرقي : جـ ٢ ص ٢٣٢ ملحوظة ٨ ، والتقى الفاسي : جـ ١ ص ٣٤٠ .

٦ ـ القطبي : ص ١١٩ وما بعدها . أغلب الظن أن المقصود هي عين حنين .

مياهها من الامطار والسيـــول ، فاذاقلت الامطار تقل مياه العيون وينقطع جريانها وتغور المياه في الآبار فتشتدحاجة أهالى مكة والحجـاج الى الماء ٠ واذا انهمرت سيول عارمة فقد تهدمالقنوات والدبول وتسدها بما تجرفه معها من حصا وتراب ، فضلا عن أنهاتهدم الدور المشرفة عـلى مجـــراها وتذهب بالناس ومتاعهم ، وقد تدخلالمسجد الحرام وتحيط بالكعبة ٠ وقد ذكر الازرقي سيول وادي مكة فـــيالجاهلية (١)وسيوله في الاسلام (٢)٠ ومن السيول في الاســلام سيـــل أم نهشل في خلافة عمر بن الخطاب وقد أقتلع مقام ابراهيم عليه السلام مـنمكانه وذهب به الى أسفل مكة ٠ ومنها سيل الجحاف في سنة ثمانين (٦٩٩ م)في خلافة عبد الملك بن مروان فذهب يوم التروية بالناس وبمتاعهم ودخلالمسجد الحرام وأحاط بالكعبة وهدم الدور المشرفة على الوادي وراح الناس يعتصمون منه بالجبال ٠ ومنها كذلك سيل المخبل في سنة أربـع وثمانـين(٧٠٣ م) وقد أصاب الناس منــه ما يشبه الخبل ٠ وفي سنة أثنتـــينومائتين (٨١٧ م) في خلافة المأمـون حدث سيل ابن حنظلة وقـد دخـلالمسجد الحرام وأحاط بالكعبة وهدم دورا وذهب بناس كثيرين ٠ وفي سنة ثمأن ومائتـــين (٨٢٣ م) في خلافـة المأمون أيضا كان سيل أعظم من سيل بن حنظلة وقد اقتحم المسجد الحرام وأحاط بالكعبة وبلغ الحجر الاسود ٠وذكر محقق كتاب الازرقي السيـول التي لم يذكرها الازرقي والخـزاعيوالتي وقعت بعد عهدهما حتى سنـة خمسين وثلثمائة وألف (١٩٣١ م)وعددها خمسة وثمانون (٣) ٠ وكان لذلك أثره على ماء زمزم فكان ماؤهـايقل كثيرا لقلة الامطار حتى انها كانت

---

١ ــ الازرقي : جـ ٢ ص ١٦٦ وما بعدها ٠

٢ ــ الازرقي : جـ ٢ ص ١٦٧ وما بعدها ٠

٣ ــ الملحق رقم ٣ في نهاية الجزء الثاني من كتاب الازرقي ٢١٠ وما بعدها ٠

تجم (١) في سنة ثلاث وعشرين وأربع وعشرين ومائتين ، وفي سنة خمس وعشرين ومائتين كثر ماؤها لكثرة الامطار ، ثم قل حتى كان من الرجال من قال انه صلى في قعرها (٢) .

في هذا كله ما يشير الى أنه كثيرا ما كان الماء يقل في مكة وعرفة بسبب قلة الامطار أو لتهدم القنوات وانسدادها بسبب السيول الجارفة مما دعا بعض الخلفاء والسلاطين الى الاهتمام بعمارة عين عرفة وما فيها من برك . ومنهم من سجل أخبار عمارته في ألواح هي الآن في جدار أمام جبل الرحمة في عرفة . ومن هذه الالواح ثلاثة تسجل أن أبا العباس أحمد الناصر لدين الله أمر بعمارة عين عرفة والمصانع (٣) لحجاج بيت الله الحرام في سنتي أربع وثمانين وخمسمائة (١١٨٨ م) وأربع وتسعين وخمسمائة (١١٩٧ م) (٤) . وكان منها كذلك لوحان لابي جعفر المستنصر بالله (٥) وقد جاء أنه عمر عين عرفة أكثر من مرة ، منها مرة في سنة خمس وعشرين وستمائة (١٢٢٧ م) ، ومنها مرة في سنة أربع وثلاثين وستمائة (١٢٣٦ م) (٦) .

وفي سنة ست وعشرين وسبعمائة (١٣٢٥ م) عاني أهل مكة كثيرا من قلة الماء فارسل الامير جوبان ، نائب السلطنة بالعراقين في عهد السلطان أبى سعيد بن خربندا ، الامير بازان لتعمير عين حنين . وقد جاء أنه « نادى

---

١ ـ جمت البئر أي تراجع ماؤها .
٢ ـ الازرقي : جـ ٢ ص ٦١ ، التقى الفاسي : جـ ١ ص ٢٤٨ .
٣ ـ المصانع جمع مصنع وهو كالحوض يجمع فيه ماء المطر .
٤ ـ القطبي : ص ٢٨٣ ، مرآة الحرمين : جـ ١ ص ٢١٤ وما بعدها .
٥ ـ مرآة الحرمين : جـ ١ ص ٢١٤ و ٢١٥
٦ ـ التقى الفاسي : جـ ١ ص ٣٤٧ ، مرآة الحرمين : جـ ١ ص ٢١٥ .

في الناس بمكة من أراد العمل في العين فله ثلاثة دراهم يوميا ، فهرع اليه العمال وخرج بهم الى العمل ، ومازالوا يعملون أربعة أشهر حتى جرى الماء الى مكة وظهر بين الصفا والمروة في العشر الاخير من جمادى الاولى من نفس السنة » (١) وقيل ان جملة ماأنفق على هذه العمارة مائة ألف وخمسون ألف درهم ، وأنها كانت تتكلف أكثر لولا ما وجد من قنى قديمة معدة . وقد عمرت بعد ذلك في سنة احدى عشرة وثمانمائة (١٤٠٨ م) في زمن الشريف حسن عجلان نائب السلطنة بمكة والاقطار الحجازية (٢) . وحدث بعد ذلك أن كان ماؤها يقل أحيانا ويكثر أحيانا أخرى حتى سنة سبع عشرة وثمانمائة (١٤١٤ م) ، وعندذاك « قل ماؤها ولقى الناس بمكة شدة » (٣) فعمرها السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ صاحب الديار المصرية والشامية ثلاث مرات في السنتين احدى وعشرين واثنتين وعشرين وثمانمائة (١٤١٨ و ١٤١٩م) وقد وصل الماء الى بركة ماجن في أسفل مكة وأمكن بماء هذه البركة زراعة بعض الوديان القريبة منها (٤) .

وكان الازرقي المتوفي حوالى منتصف القرن الثالث الهجري قد ذكر الآبار التي حفرت بعد زمزم في الجاهلية ثم الآبار الاسلامية ، (٥) وأشار التقى الفاسي الى أنه لا يعرف من تلك الابار في زمنه الا القليل ، وأن جملة ما يحتوي عليه سور مكة ثماني وخمسون بئرا (٦) . وهو يذكر أيضا

---

١ - التقى الفاسي : ج ١ ص ٣٤٧ ، القطبي : ص ٢٨٣ ، مرآة الحرمين : ج ١ ص ٢١٥ وما بعدها .

٢ - التقى الفاسي : ج ١ ص ٣٤٧ وما بعدها ، القطبي : ص ١٧٧ و ٢٨٤ .

٣ - التقى الفاسي : ج ١ ص ٣٤٨ .

٤ - نفس المرجع .

٥ - الازرقي : ج ٢ ص ٢٢٣ وما بعدها .

٦ - التقى الفاسي : ج ١ ص ٣٤٠ وما بعدها .

أنه كان بعرفة عدة بـرك وأن أغلبها كان في زمنه ممتلئا بالتراب حتى أصبح مساويا للارض (١) · وفي موضع آخر من كتابه يذكر أنه كان بعرفة عـدة آبار لا ماء فيها (٢) · وفي كتابه العقد الثمين في تاريخ البلد الامين يذكر أن الآبار التي بعرفة كثيرة غير أن التـي فيها الماء ثلاث (٣) ·

وفي سنـــة اثنتـــين وخمســين وثمانمائـــة (١٤٤٨ م) في عهــد السلطان جقمق عمر ناظر الحرم بيرم خوجا « عين حنين وأصلـــح مجاريها ورممها ترميما محكما » (٤) ·وفيما بين العشر الاخير من ذى الحجة سنة ثلاث وخمســين وثمانمائـــة (١٤٥٠ م)والسادس والعشرين من شعبان سنة أربع وخمسين وثمانمائة (١٤٥٠ م)أي في زمن السلطان جقمـق « عمـر ناظر الحرم الشريف بيرم خوجا عدة برك في عرفـة كانت ··· مملــوءة بالتراب فأخرج تـــرابها وأصلحها وساق اليها الماء من الآبار التي بقربها يشرب الحجاج منها » (٥) ·

ولوح السلطان قايتباي يسجـــل أمره بأجراء عين عرفة وبناء بركها في سنة خمس وسبعـــين وثمانمائـــة (١٤٧٠ م) · وقد جاء أنـــه عمـر أيضا عين حنين الى أن جرت الى مكة ،وقد عمرها أيضا السلطان قانصـوه الغوري في سنة ست عشرة وتسعمائة (١٥١٠ م) وجرى ماؤها حتى بلــغ بركة ماجن (٦) ·

---

١ ــ التقى الفاسي : جـ ١ ص ٣٤٠ ·
٢ ــ التقى الفاسي : جـ ١ ص ٣٤٥ ·
٣ ــ العقـد الثمين : جـ ١ ص ١٢٥ ·
٤ ــ القطبي : ص ١٩٢ ·
٥ ــ نفس المرجع ·
٦ ــ القطبي : ص ٢٨٤ ·

وفي أوائل الحكم العثماني في الحجاز نضبت العيون وتهدمت قنواتها وانقطع جريان عين حنين عن مكة المشرفة ، وأخذ أهلها يستقون من الآبار في أعلى مكة وفي أسفلها ، كما تعطلت عين عرفة وتهدمت قنواتها وعانى الحجاج في عرفة من قلة الماء وارتفع ثمنه كثيرا . ويذكر القطبي أنه كان آنذاك مراهقا وانه اشترى « قربة صغيرة جدا يحملها الانسان بأصبعه بدينار ذهب » (١) . وفي وقت الوقوف والناس يلهثون من العطش جادت السماء بمائها وسالت السيول فبكى الناس « لما رأوا من رحمة الله تعالى ولطفه بهم واحسانه اليهم وتكرمه عليهم » .

وفي سنة احدى وثلاثين وتسعمائة (١٥٢٤ م) أمر السلطان سليمان القانوني بأصلاح عين حنين وعين عرفة وعين لهما ناظرا فجرت عين حنين الى بركة ماجن ، وجرت عين عرفة حتى ملأت البرك التي في عرفة (٢) . وأقام الناظر عبيدا سودا على حساب السلطنة لتنظيف الدبول والقنوات من الاتربة ، وكان أبناؤهم يرثون أعمالها (٣) .

ولوح السلطان سليمان يسجل أنه أمر في سنة خمس وثلاثين وتسعمائة (١٥٢٨ م) بأعادة اصلاح عين البركة المعروفة ببركة السلم بعد انقطاع مائها وبتجديد بناء البركة (٤) . وليس فيما وقع بين يدي من مراجع ما يشير الى ما قام به السلطان سليمان من عمل في هذه البركة ، لذلك فان لهذا اللوح أهميته التاريخية فضلا عن أهميته الاثرية . ويستفاد مما ذكره التقى الفاسي أن بركة السلم كانت تستمد مياهها من القنى

---

١ ـ القطبي : ص ٢٨٥ .

٢ ـ انظر ص ٥٨ .

٣ ـ القطبي : ص ٢٨٥ .

٤ ـ انظر ص ٥٩ .

التي تصل اليها من منى وأن الامير المعروف بالملك نائب السلطنة بمصر جدد هذه القنى سنة خمس وأربعين وسبعمائة (١٣٤٤ م) (١) . وهنا لا غنى عن التساؤل عما اذا كانت هذه القنى كانت تستمد مياهها بدورها من دبول عين حنين أو من دبول عين عرفة . على أية حال ليس من شك في أن بركة السلم ، وكانت تقع في الطريق الى منى ، كانت تيسر للحجاج الحصول على ما كانوا يحتاجون اليه من ماء في طريقهم الى منى ومنها الى مزدلفة فعرفة كما كان يفيد منها أيضا الاهالي الذين كانوا يقصدون الطائف .

وبينما كانت عين حنين تجري غزيرة تارة ويقل ماؤها تارة أخرى حسب غزارة الامطار وقلتها ، كانت عين عرفة أيضا تجود بمائها من وادي نعمان الى عرفة حسب وفرة الامطار وقلتها ، لذلك ازدهرت فيها البساتين وأينعت فيها الغروس . ولكن منذ سنة خمس وستين وتسعمائة (١٥٥٧ م) أخذ الماء ينضب في العيون ويغيض في الآبار لعدة سنين وان كانت عين عرفة ظلت تجري ضعيفة (٢) .

وعندما رفع الامر الى السلطان سليمان أمر بفحص العيون والتعرف على وسائل جريانها الى مكة المكرمة (٣) . فأخذ قاضي مكة حينذاك وسنجق جدة وغيرهما من الاعيان يتفحصون ويتدبرون الى أن اجتمع رأيهم على أن عين عرفة هي أقوى العيون ، وقد تتبعوا دبولها من مبدئها من الاوجر الى وادي نعمان ثم الى عرفة فمزدلفة حتى بئر زبيدة وأصلحوها بالبناء والترميم . على أنهم ظنوا أن عين عرفة تستمر تحت سطح

---

١ ــ انظر ص ٦٠ .
٢ ــ القطبي : ص ٢٨٦ .
٣ ــ القطبي : ص ٢٨٧ .

الارض من بئر زبيدة الى مكة ، وقـد عرضوا ذلك عـلى السلطان في سنـة تسع وستين وتسعمائة (١٥٦١ م) ٠

وعند ذاك التمست كريمة السلطان« خانم سلطان » (١) أن تقـوم بهذا العمل الخير اعتمادا على أن أول مـن قامت به زبيدة أم جعفـر ، فأذن لها بذلك ٠ وأشرف على العمل دفتردار ديوان مصر الامير ابراهيم بن تغـرى بردى المهمندار (٢) وقد أعطى خمسين ألف دينار ٠ وكان أول ما قام به أن عمل عـلى تنظيف بعض الآبار التي يستقى الناس منهـا وزيادة تعميقها ليكثر ماؤها ٠ ثـم شرع في الكشف عن دبول عرفة وتنظيفها من الاوجـر حتى مزدلفة ، وجلب من مصر والشام واستنبول ومن بلاد اليمن « طـوائف بعد طوائف من المهندسين وخـدام العيون والآبار والحدادين والبنائـين والحجارين والقطاعـين والنجارين » ،وأتى بأدوات العمارة مـن مصر مـن « مكاتل ومساحي ومجاريف وحديـد وبولاد ونحاس ورصاص وغير ذلك» ٠ وكان يقدر ان يتم العمل في أقل من عام ، وقد استمر فيه حتى بلغ بئـر زبيدة وبعدها تبين أن عمل زبيدة أم جعفر في عين عرفة انتهى عند ذلـك الحد وأنها اضطـرت الى أن يكتفي بذلك القدر لصلابة الحجر وطـول المسافة التي لابد للدبـول أن تقطعها منقورة تحت سطح الارض الى غور عميق (٣) حتى تتصل بـدبول عـين حنين ليصل الماء الى مكة ٠ وكان لابد

---

١ ـ ذكر الزواوي في رسالته أن اسمها « فاطمة هانم سلطانة » ، وجاء في الملحق رقم ٤ في نهاية الجزء الثاني من كتاب الازرقي ان اسمها « فاطمة خانم » ويبـدو أن محقق هذا الكتاب اعتمد في ذلك على الزواوي ٠

٢ ـ المهمندار هو الـذي يتلقى الـرسل والعربان الواردين على السلطان وينزلهم دار الضيافة ويتحدث في القيام بأمرهم ٠ القلقشندي : صبح الاعشـى جـ ٤ صـ ٢٢ و جـ ٥ ص ٤٥٩ ٠

٣ ـ قدرت المسافة بالفي ذراع معماري اي الف وخمسمائة متـر ، وقـدر العمـق بخمسين ذراعا ٠

من مواصلة العمل على صعوبته وقسوته حفاظا على سمعة السلطنة ٠ واقتضى العمل ازالة وجه الارض حتى الحجر الصوان ، ثم كان يوقد على الحجر الصوان ليلا بالحطب الجزل حتى يسهل كسره نهارا بآلات الحديد وهكذا دواليك في مساحات صغيرة طولا وعمقا مما أفنى جميع حطب جبال مكة ودعا الامر الى جلبه من مسافات بعيدة فغلا سعره وضاق الناس بما عانوه ذرعا ٠

وكان الامير ابراهيم كلما نفد مابيده من مال أرسل يطلب غيره حتى بلغت النفقة أكثر من خمسمائة ألف دينار ذهب ٠ على أن المنية وافته سنة أربع وسبعين وتسعمائة (١٥٦٦ م) دون أن يتم العمل على يديه ٠ فتولاه من بعده سنجق جدة الامير قاسم الى أن توفى سنة تسع وسبعين وتسعمائة (١٥٧١ م) ، فأكمل العمل ناظر المسجد الحرام قاضي مكة السيد حسين الحسنى ، وكان ناظرا على مابقي من عمل في عين عرفة ٠ ووصل ماء عين عرفة الى مكة عبر الدبول والقنوات في أقل من خمسة شهور في عهد السلطان سليم الثاني وذلك لعشر بقين من ذى القعدة سنة تسع وسبعين وتسعمائة (١٥٧٢ م) أي بعد عشر سنوات من بدء العمل ٠ وكان يوما مشهودا دعى فيه أعيان مكة ونصبت لهم السرادق في بستان السيد حسين الحسنى ونحرت الذبائح من الغنم والابل وخلعت الخلع على عدد من المهندسين والمعلمين والبنائين وأنعم على باقيهم بالانعامات وبذلت الصدقات على الفقراء والمساكين ٠ ولما رفعت الاخبار الى الاميرة « خانم سلطان » أنعمت بدورها بالانعامات الكثيرة على من باشروا العمل ٠ ويذكر صاحب كتاب سمط النجوم أن الاميرة أنفقت في هذا العمل نحوا من نصف مليون من الجنيهات (١) ٠

---

١ ـ هو عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامى المكي ٠ انظر ملحق رقم ٤ في نهاية الجزء الثاني من كتاب الازرقي ص ٣٢٨ ٠

وفي عهد السلطان سليم الثاني رؤى أن تبنى لعين عرفة دبل مستقل عن دبل عين حنين وذلك من الابطح من جهة منى الى آخر المسفلة بمكة ، وقد أقيمت في الابطح قبة جعل فيها مقسم ماء عرفة (١) . وحدث بعد ذلك أن تعرض مجرى عين عرفة للتلف عدة مرات فامتنع جريان مائها الى مكة مما اقتضى تعميرها أكثر من مرة كما يتضح مما ذكره الزواوي ونقله عنه مؤلف مرآة الحرمين . وفي الجدار القائم أمام جبل الرحمة لوح من الرخام يسجل ان السلطان أحمدخان ابن السلطان محمد خان أمر بتعمير عين عرفة سنة خمس وعشرين وألف (٢) . ومن أهم أعمال التعمير ما حدث في سنة ثلاث وتسعين وألف (١٦٨٢ م) فقد أقيم في عهد السلطان محمد خان الرابع (١٠٥٨ ـ ١٠٩٩م) سد عظيم في وادي نعمان يحجز تدفق السيول على قنوات عين عرفة وأنشىء على رأس القنوات نحوا من عشرين حاجزا يسمى كل منها خرزة ، وتم تنظيف البرك في المعلا وزيد في ارتفاع جدرانها نحوا من قامة (٣) وحفرت قناة في أسفل مكة لتصرف مياه السيل الى بركة ماجن (٤) .

وفي سنة اثنتى وأربعين ومائتين وألف (١٨٢٦ م) انقطع الماء عن مكة بسبب السيول ومكث الناس نحو شهر في ضيق فأرسل والى مصر محمد علي باشا من عمر الدبول وأنفق على ذلك مبلغا كبيرا من المال (٥) .

وكان ماء عين زبيدة يقل تارة ويكثر تارة أخرى بسبب قلة الامطار أو كثرتها . وفي عام خمسة وتسعين ومائتين وألف (١٨٧٨ م) شكلت

---

١ ـ القطبي : ص ٣٢٥ وما بعدها .
٢ ـ انظر ايضا مرآة الحرمين : جـ ١ ص ٢٢٠ وما بعدها .
٣ ـ الزواوي : ص ٢٢ .
٤ ـ مرآة الحرمين : جـ ١ ص ٢٢١ .
٥ ـ الزواوي : ص ٢٣ .

لجنة لجمع الاعانات من كافة الاقطار الاسلامية وخاصة مصر والهند للصرف منها على اصلاح العيون والقنوات ، وتم للجنة جمع مبلغ كبير من المال فاستقدمت المهندسين والصناع من الهند فاخذوا يصلحون قنوات وادي نعمان ، وأقاموا فيه عددا من الخزانات تركوا بعضها مفتوحا ليستقي منها العربان (١) . ونظفوا الدبول وعمروا ما تخرب منها فيما بين مكة والمفجر (٢) ومنه أوصلوا الماء الى منى بآله بخارية . وقد اضطروا الى نحت بعض الجبال ، واستمروا في العمل حتى بلغوا عرفة . وقد أقاموا عدة خرزات في طريق مكة وبعض بازانات (٣) في مكة . الى جانب ذلك عمروا بعض الاجزاء في مجرى عين حنين وكان قد أهمل عندما تم توصيل مجرى عين عرفة الى مكة .

وفي عام سبعة وتسعين ومائتين وألف (١٨٨٠ م) أرسلت مصر خمسة وعشرين ألف جنيه وأحد المهندسين للاشتراك في أعمال التعمير وظلت اللجنة تعمل ثلاث سنوات ثم فترت همتها وأخذت الحكومة بعض مال اللجنة وأنفقته في غير الاغراض التي جمع من أجلها مما أغضب أهل الهند فقطعوا معوناتهم واستقال رئيس اللجنة وأكثر أعضائها .

وتالفت لجنة ثانية وجهت معظم همها الى اصلاح مجرى عين حنين لانها عين مكة الاصلية (٤) . ثم توقف العمل في مجرى كل من العينين ،

---

١ ـ الزواوي : ص ٢٤ وما بعدها .

٢ ـ المفجر مكان خلف الجبل المقابل لثبير على حافة الطريق الى عرفات .

٣ ـ يذكر الزواوي ص ١٠ أن البازان موضع منخفض ينزل فيه بالدرج الى أن يصل النازل الى مجرى العين . وبازان هو اسم الامير الذي أرسله الامير جوبان لتعمير عين حنين وقد سميت باسمه الاحواض والآبار التي على مجرى العين . مرآة الحرمين : ج ١ ص ٢١٦ .

٤ ـ الزواوي : ص ٢٧ .

وانقطع ماء عرفة ، وقل ماء عين حنين وكاد ينقطع في سنة أربع وعشرين وثلثمائة وألف (١٩٠٦ م) .

عند ذاك تألفت لجنة ثالثة برياسة أمير مكة وجمعت الاعانات قسرا من أهالي مكة والطائف وجدة وطلبت معونة الدولة العثمانية (١) ، وجاء من الاستانة مهندسون قاموا بعدة اصلاحات وبخاصة في وادي نعمان حتى منابع عين عرفة ثم في دبول مكة نفسها .

وفي أوائل سنة سبع وعشرين وثلثمائة وألف (١٩٠٩ م) شكل أمير مكة لاصلاح العيون هيئة جا يدة من أهالي مكة والمجاورين ومن أجناس مختلفة ، فأخذت تستحث المسلمين في الاقطار المختلفة على المساعدة بما يجودون به من أموال فتدفقت عليها المساعدات من الهند ومصر وجاوه وغيرها (٢) .

وفي سنة ثمان وعشرين وثلثمائة وألف (١٩١٠ م) تدفق سيل عظيم على وادي نعمان وغمر دبول عين زبيدة (عين عرفة) وهدم عددا من الخرزات وسد بالتراب كثيرا من الدبول في عرفة وفيما بينها وبين مكة فالتجأ الاهالي الى مياه الآبار الى أن أمكن اصلاح ما أتلفه السيل .

وفي سنة ثلاثين وثلثمائة وألف (١٩١٢ م) اندفع سيل عظيم ثان من وادي نعمان وسد دبول عين زبيدة بالتراب فانقطع الماء عن مكة فبادرت اللجنة بأصلاح ما فسد وطهرت المجاري وشيدت خرزات كثيرة وأصلحت عدة بازانات (٣) .

---

١ ـ الزواوي : ص ٢٧ وما بعدها .
٢ ـ الزواوي : ص ٢٩ وما بعدها ، عبد القادر ملا قلندر : ص ١٠ .
٣ ـ الزواوي : ص ٢٧ وما بعدها .

وفي ربيع الاول من السنة الرابعة والاربعين وثلثمائة وألف (١٩٢٥ م) « دهم السيل في وادي نعمان قناة عين زبيدة وخرب ثلاث خرزات وانقطع الماء عن مكة ثلاثة شهور فأمر المغفور له صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود بتعمير ما تخرب » (١) ٠

وفي عام خمسة وأربعين وثلثمائة وألف (١٩٢٦ م) تألف مجلس ادارة لعين زبيدة كان من أهم أعماله الاشراف على أعمال العين واصلاحها واقرار احتياجات الادارة والعرض على مقام المرجع (٢) ٠ وكان من أعمال المجلس في عام ست وخمسين وثلثمائة وألف (١٩٣٧ م) وما تلاه تعلية « جوانب الدبل بالبناء فوقه مقدار متر في بعض المواضع وثلاثة أرباع المتر في مواضع أخرى » (٣) ٠

وفي عام واحد وسبعين وثلثمائة وألف (١٩٥١ م) زاد الطلب على الماء في مكة المكرمة بسبب ازدياد عدد السكان وانتشار العمران فيها فأمر المغفور له الملك عبد العزيز بشراء العين الجديدة المسماة بالعزيزية الواقعة في الشمال الشرقي من مكة بوادي نخلة الشامية (٤) واستخدم ماؤها في سقيا أحياء مكة ٠

---

١ ـ عبد القادر ملا قلندر : ص ١١ ٠

٢ ـ اعتمدنا في هذا وفي معظم ما يلي على ما استقيناه من معلومات من الاستاذ يوسف أكبر مدير مكتب المدير العام لعين زبيدة ٠

٣ ـ انظر تقرير هيئة عين زبيدة عن اعمالها في عام ١٣٥٨ في أم القرى العدد ٨٠١ بتاريخ ١٨ ربيع الاول سنة ١٣٥٩ ٠

٤ ـ عن نخلة الشامية انظر : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لابى عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الاندلسي ، ج ٢ ص ١٣٠٤ ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي ، طبع بيروت ١٩٥٧ ، ج ٥ ص ٢٧٧ ، ومجلة المنهل ، ج ٤ سنة ٣٨ ، مجلد ٣٣ ، ص ٤٥٤ ٠

ولازدياد حاجة مكة للماء رؤى في عام ستة وسبعين وثلثمائة وألف (١٩٥٦ م) سحب نصف ماء عين المضيق التي في وادي نخلة الشامية في مواسير من الاسبستس قطر ١٦ بوصة الى الخزان رقم ٢ بربع الزوراء.

وفي عام ثمانية وسبعين وثلثمائة وألف (١٩٥٨ م) دعت الحاجة أيضا الى سحب نصف مياه سولة (١) الى الخزان المذكور .

وفي عهد المغفور له جلالة الملك فيصل حظى توفير المياه لاهالي مكة وللحجاج بعناية مرموقة فتم ما يلي :

في سنة خمس وثمانين وثلثمائة وألف (١٩٦٥ م) سحبت مياه القشاشية في الشمال من مكة شرقي وادي فاطمة (مر الزهران) (٢) في مواسير الى خزان التنعيم ومنه الى الزاهر فجرول فشارع المنصور فالحفائر .

ومنذ عام خمسة وثمانين وثلثمائة وألف (١٩٦٥ م) بديء بمشروع ماء مكة الكبير وقد رؤى تنفيذه على عدة مراحل تم منها مرحلتان وسوف تتم المرحلة الثانية في سنتي خمس وتسعين وست وتسعين وثلثمائة وألف (١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ م) . ويتضمن هذا المشروع :

١ ـ انشاء خزانات للماء في عدة جبال وانشاء شبكة جديدة للمياه من مواسير اسبستوس قطر ١٦ و ٢٤ بوصة . وقد تم تنفيذ جزء منها في عامي ثلاثة وتسعين وأربع وتسعين وثلثمائة وألف (١٩٧٣ـ١٩٧٤ م) .

---

١ ـ عن سولة انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٨٥ .

٢ ـ عن وادي مر الظهران انظر مجلة المنهل ، ج ٤ ، سنة ٣٨ ، مجلد ٣٣ ربيع الثاني ١٣٩٢ ، ص ٤٥٣ وما بعدها .

٢ ـ انشاء محطة ضخ في حي العزيزيه وقد تمت اقامتها في سنتى خمس وثمانين وست وثمانين وثلثمائة وألف (١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ م) ٠

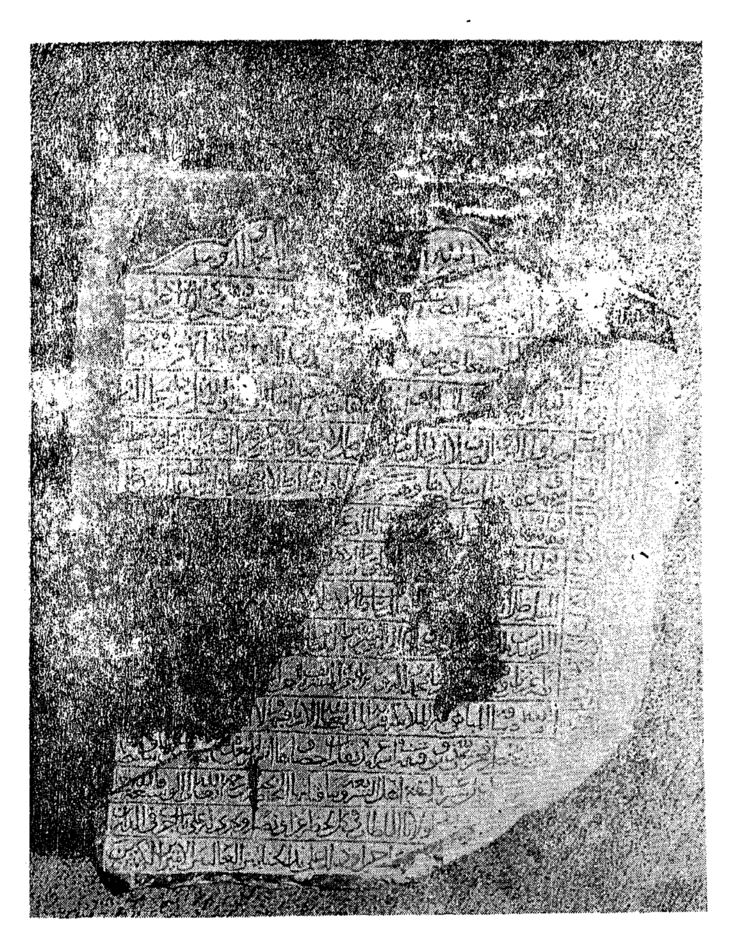
٣ ـ مد خط مواسير من محطة العزيزية الى خزان خندمة خلف القصر الملكي ، وقد تم تنفيذه في عامى خمسة وثمانين وست وثمانين وثلثمائة وألف (١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ م) ٠

٤ ـ انشاء خزانات في عرفة ومزدلفة ومنى تتغذى من عين زبيدة للاستفادة منها في موسم الحج وقد تم انشاؤها في عامى خمسة وثمانين وستة وثمانين وثلثمائة وألف (١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ م) ٠

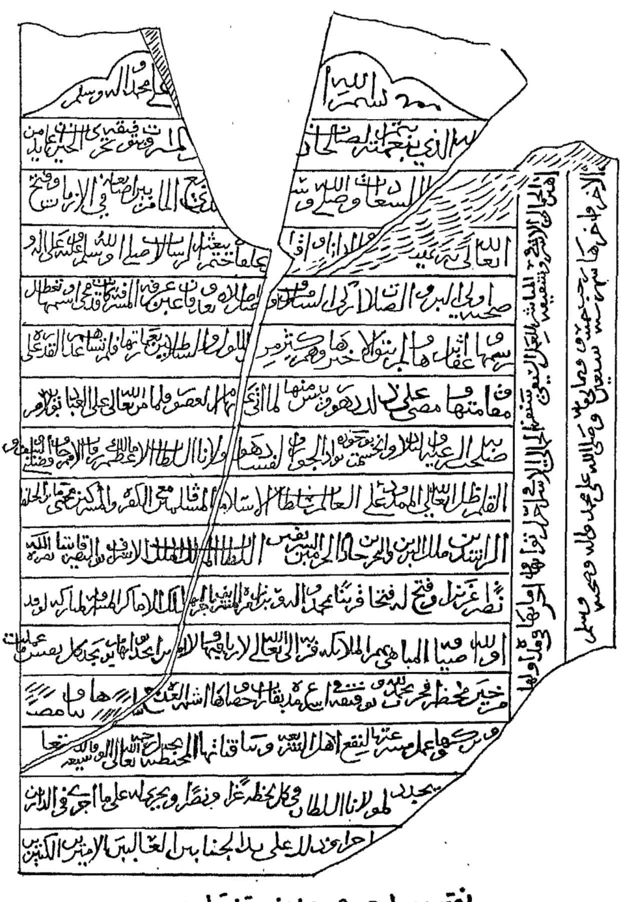
٥ ـ انشاء محطة في عرفة لضخ مياه عين زبيدة من عرفة الى مكة في انابيب اسبستوس ، وقد بدأت هذه المحطة عملها في موسمى ثلاثة وتسعين واربعة وتسعين وثلثمائة وألف (١٩٧٣ ـ ١٩٧٤ م) ٠ وهي تغذي مكة المكرمة بما يقرب من عشرة آلاف طن من الماء ، اي ضعف كمية المياه التي كانت تصل اليها عن طريق دبل عين زبيدة ٠

٦ ـ ابدال شبكة مياه مكة القديمة وربطها بشبكة المياه الجديدة وينتظر أن يتم ذلك بعون الله في سنتى خمس وتسعين وست وتسعين وثلثمائة وألف (١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ م) ٠

وهكذا كان توفير الماء لاهل مكة ولحجاج بيت الله الحرام من أهم ما عنى به كثير من الخلفاء والسلاطين والملوك ، وفي ضوء ذلك تكون للوحى قايتباي وسليمان القانوني أهمية خاصة من الناحيتين التاريخية والاثرية ٠



لوح السلطان قايتباي



نقوشه لوح السلطان قايتباى

لوح السلطان قايتباي

هو لوح من حجر أشهب مهشم الى ثلاث قطع ، أقصى طول القطعة اليمنى سبعة وأربعون سنتيمترا ، وأقصى طول القطعة اليسرى ثلاثة وخمسون سنتيمترا ، وأقصى طول القطعة الثالثة ثمانية عشر سنتيمترا ، ويبدو أن طول اللوح كان حوالى ثمانية وخمسين سنتيمترا · أما عرضه فهو تسعة وأربعون سنتيمترا ، وسمكه في أعلاه أربعة سنتيمترات ، وسمكه في أسفله اثنان وعشرون سنتيمترا · واللوح مشطور أصلا في زاويته اليمنى السفلى ، ووسطه أوطى قليلا من جوانبه ·

وتكون القطعة اليمنى يمين اللوح، وتشمل الجانب الايمن من النقوش المسجلة عليه ابتداء من السطر الرابع حتى السطر السادس عشر ، وكل من هذه السطور يلي أحدها الآخر من اليمين الى اليسار · والى اليمين السطران السابع عشر والثامن عشر وهما راسيان يجريان من أعلى الى أسفل بطول اللوح · وقد ضاعت بداية السطرين الثاني والثالث وبداية السطرين الراسيين السابع عشر، الثامن عشر · وتتوسط هذه القطعة بقعة كبيرة من لون قاتم ·

وتؤلف القطعة اليسرى يسار اللوح، وتشمل الجانب الايسر من النقوش ابتداء من السطر الاول الى السطر الثاني عشر · وتغشى النصف الاسفل منها بقعة كبيرة من لون قاتم ·

أما القطعة الثالثة فتكون وسط أعلا اللوح ، وتشمل بداية السطر الاول (البسملة) وجزءا صغيرا من السطور الثاني والثالث والرابع ·

وقد تلفت بعض الحروف والالفاظ فيما بين القطع الثلاث · وتفصل السطور خطوط بارزة ، ويختلف عرض كل سطر فيما بين أربعة وثلاثة سنتيمترات ·

ومع أن الذي اشترى منه هـذااللوح بقطعه الثلاث لم يستطـع أن يدل على المكان الذي عثر عليه فيـه ،الا أنه يبدو من النقـوش أنـه كان مقصودا به أن يكون في مكان ما قريبمن الواح خمسة مثبتة في جدار عـلى يسار الصاعد الى جبل الرحمة فـيعرفه ، خاصـة وتكاد نقـوش أعـلا هذه الالواح تماثل تماما نقوشاللوحالمقتنى • ومع ذلك لا يبعد أن يكـون اللوح المقتنى نسخة أولى للوح عرفةلم يرض عنها المباشر للعمل فاهملتفي مكان ما وتـراكمت عليها الاقـذاروالاتربة الى أن عثر عليها ومن ثـم وجدت سبيلها الى الذي اشتريت منهويزكى ذلك الاعتبارات التالية :

أولا : كان طول اللـوح المقتنىثمانيه وخمسين سنتيمترا فيما يبدو بينما طول اللوح القائـم في عرفـةثلاثة وتسعون سنتيمترا ، وان كان سطح اللوح المقتنى مستـو تقريباوسطح اللوح الآخر على مستـويات مختلفة •

ثانيا : نقوش اللوح القائم أمامجبل الرحمة في عشرين سطرا افقيا ، والبسملة في أعلاها بخط نسخ مورقجميل ، والحركات والعلامات عـلى الحروف أكثر نسبيا • أما نقـوشاللوح المقتنى فهيفيثمانية عشر سطرا منها السطـران الاخـيران رأسيانيمضيان على غير المعتاد من أعـلا الى أسفل كما ذكرنا بما لا يترك أثـراجميلا في النفس ولا يتفـق وما كان لصاحب اللوح من شأن •

ثالثا : في السطر العاشر ينقصاسم قايتباي ، الذي تشيد النقوش بالقابه وأعماله ، الحرف الاخير وهوالياء •

رابعا : لا تخلو نقـوش اللوحالمقتنى من تحريف في بعض الالفاظ كما يتبين فيما يلي :

أ ــ في السطر الرابع « ببعثه »بدلا من « ببعثته » ،

ب ــ في السطر الخامس « كثر »بدلا من « كثير » ،

جـ ــ في السطر العاشر « فضلى »بدلا من « فضيلتى » ،

د ــ في السطر الحادي عشر « وبرز » بدلا من « برز » ،

هـ ـ في السطر الحادي عشر « المشريف » بدلا من « الشريف » ،
و ـ في السطر السادس عشر « الاميرين » بدلا من « الاشرفين » ٠
وقد نسي النقاش :

أ ـ « صلى الله عليه ٠٠٠ وسلم» في السطر الحادي عشر ،

ب ـ « تعالى » بعد لفظ الجلالة في بداية السطر الثاني عشر ،

جـ ـ « الله تعالى » بعد « أجزل »في السطر السابع عشر ،

د ـ « الفرد الحرام » بعد « رجب » في السطر الثامن عشر ،

هـ ـ « سيدنا » قبل « محمد » في السطر الثامن عشر ٠

خامسا : سمك أعلا اللوح المقتنى ٤ سم وسمكه عند قاعدته ٢٢ سم ، لذلك لا يبعد أن يكون اللوح قد تهشم أثناء نقله أو تثبيته فغض النظر عنه اذا لم تكن الاسباب التي سبق ذكرها قد دعت الى تركه ٠

وكان مؤلف مرآة الحرمين قد نقل نقوش لوح عرفة بالقلم الرصاص في التاسع من ذى الحجه من سنة ثماني عشرة وثلثمائة وألف (١٩٠١ م) « في مدة أربع ساعات وذلك لصعوبة قراءتها وشدة الزحام » ٠ وفي التاسع من ذى الحجة من سنة عشرين وثلثمائة وألف (١٩٠٣ م) تمكن من « أخذ صورتها بالآلة الشمسية (الفتوغرافيا) وقد كتبها الشيخ علي بدوي بخطه الجميل لتكون صورة واضحه للاصل الذي لوثته الدماء » (١) ٠ وبمراجعة ما كتبه الشيخ علي بدوى نقلا عن ابراهيم رفعت باشا على نقوش لوح عرفة لوحظ اختلاف في هجاء وكتابة بعض الالفاظ ، وقد يشفع في ذلك صعوبة الظروف التي نقلت فيها النقوش وكتابتها بالقلم الرصاص دون الحبر ثم قيام شخص ثان بكتابتها دون أن يطلع على الاصل فضلا عن ضآلة حجم الصورة الفوتوغرافية بحيث لا تتيسر

---

١ ـ ابراهيم رفعت باشا : مرآة الحرمين ، جـ ١ ص ٢١٧ الرسم ٨١ ، يخلو اللوح فى الوقت الحاضر من أي أثر للدماء ويبدو أن الامطار قد ازالت ما كان عليه منها ٠

الاستفادة منها ، ومن خلال ذلك كله يمكن أن يتسرب الخطأ والتحريف .

وفيما يلي نقوش اللـوح المقتنى على مافيها من نقص وتحريف ، وفي الهامش بيان ما يسجله لوح عرفـة وما نقله عنه ابراهيم رفعت باشا في حالة الاختلاف فيما بينها .

١ بسم الله ا . . . على محمد واله وسلم (١)

٢ . . . له (٢) الذي بنعمته تتم الصالحات . . . المسرات (٣) وبتوفيقه تجرى الخيرات على (٤) يد من

٣ . . . . . (٥) السعادات وصلى الله وسـ . . . ديبع الماس (٦) بين اصابعه في الازمات (٧) وفتح

٤ الله تعالى به عيـ . . . واذانا . . . ا وقلـ . . . علفا وختم ببعثه (٨) الرسالات صلى الله وسلم عليه وعلى اله (٩) و

٥ صحبه اولي البر والصلات اركى السلام وافضل (١٠) الصلاه وبعد فان عين عرفه المسرفه كانت قد محى اسمها وتعطل

---

١ ــ في لوح عرفة « بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي » ، وكذلك في « مرآة الحرمين »

٢ ــ في لوح عرفة « الحمد لله » ، كذلك في « مرآة الحرمين » .

٣ ــ في لوح عرفة « وبمنته وفضله تكمل المسرات » ، على أن ابراهيم رفعت باشا نقل « وبمنه وفضله تكمل المبرات » على أن السين في « المسرات » تشبه السين فـي « السيفى » في السطر السابع عشر .

٤ ــ تنقص الياء في « على » على أن اللام تعلو نهاية الراء في « الخـيرات » بما قـد يوهم بأن الياء والراء مشتبكان معا .

٥ ــ في لوح عرفة « اختار من أهـل » ، وكذلك في « مرآة الحرمين » .

٦ ــ في لوح عرفة « وسلم على سيـدنا محمد الذي نبع الما » ، وكذلك فـي « مرآة الحرمين » الا أنه أضيف الى « الما » همزة مفردة .

٧ ــ هكذا أيضا في لوح عرفة ، على أن ابراهيم رفعت باشا نقل « الآيات » بدلا من « الازمات » .

٨ ــ في لوح عرفة « الله تعالى به أعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وختم ببعثته » ، وكذلك في « مرآة الحرمين » .

٩ ــ في لوح عرفة « على » غير موجودة ، وكذلك في « مرآة الحرمين » .

١٠ ــ في لوح عرفة « وافضل » ، وكذلك في « مرآة الحرمين » .

٦ رسمها وعفا اثرها ولم سق الا خبرها وهم كثر(١)من الملوك والسلاطين بعمارتها فلم تساعدهم القدره(٢)على

٧ مقاومتها ومضى على ذلك دهور ويىس منها لما اتى عليها مر (٣) العصور فلما من الله تعالى(٤)على العباد بولايه من

٨ صلحت به الرعيه والبلاد وانحسمت بـوجـوده بواد (٥) الجور والفساد هو مولانا السلطان الاعظم مالك رقاب الامم وحاوى فضلى(٦)السيف و

٩ القلم ظل الله تعالى الممدود على العالم سلطان الاسلام والمسلمين قامع الكفره والمشركين محى مآثر الخلفا(٧)

١٠ الراشدين ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان المالك الملك الاشرف ابو النصر قايتبا(٨)نصره الله

١١ نصرا عزيزا وفتح له فتحا قريبا(٩)بمحمد وآله(١٠)وبرز(١١)امره الشريف (١٢)باجرائها(١٣)سلك الاماكن المشرفه المباركه لوفد(١٤)

---

١ ـ في لوح عرفة « كثير » ، وكذلك في « مرآة الحرمين » .

٢ ـ هكذا في لوح عرفة ، على أن ابراهيم رفعت باشا نقلها « القدر » .

٣ ـ في لوح عرفة « عليها مر » ، وفي « مرآة الحرمين » « عليها من » .

٤ ـ وهكذا أيضا في لوح عرفة ، ولكن في« مرآة الحرمين » لفظ « تعالى » غير موجود .

٥ ـ الباء في « بواد » واضحه تماما بما لا يدع مجالا للشك على عكس الامر في لوح عرفة مما دعا ابراهيم رفعت باشا الى قراءتها ميما ، هذا فضلا عن أن « بواد الجور والفساد » أصح من « مواد الجـور والفساد » .

٦ ـ في لوح عرفة « فضيلتي » ، وكذلك في « مرآة الحرمين » .

٧ ـ وهكذا أيضا في لوح عرفة ، على أن ابراهيم رفعت باشا أضاف اليها همزة مفردة .

٨ ـ في لوح عرفة « قايتباي » ، وكذلك في « مرآة الحرمين » .

٩ ـ وهكذا أيضا في لوح عرفة ، غير أن ابراهيم رفعت باشا نقلها « قريبا » .

١٠ ـ في لوح عرفة « بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم » ، وفى « مرآة الحـرمين » « بمحمد صلى الله عليه وسلم » .

١١ ـ في لوح عرفة « برز » ، وفي « مرآة الحرمين » « عم » .

١٢ ـ في لوح عرفة « الشريف » ، وكذلك في «مرآة الحـرمـين » ، ويبــدو أن لفظ « المشرفة » في نفس السطر بعد ثلاث كلمات هو الذي حمل النقاش على الخطأ .

١٣ ـ وهكذا أيضا في لوح عرفة ، أما ابراهيم رفعت باشا فقد كتبها « باجرائها » .

١٤ ـ وهكذا أيضا في لوح عرفة ، أما ابراهيم رفعت باشا فقد كتبها « لوفد بيت » .

١٢ الله(١)واصيافه المباهى بهم الملايكه(٢)قربه الى الله تعالى(٣)لا ريا فيها ولا امترا تجد ثوابها(٤)يوم تجد كل نفس ما عملت

١٣ من خير محضرا فجرت بحمدلله(٥)بوفيقه في اسرع مده تقارب احصاؤها(٦)اشهر العده مع تد ٠٠٠ ها وبنا مصـ ٠٠٠ (٧)

١٤ وتركها وعمل مسرعتها(٨)لنفع اهل الشريعه وبنا قناتها المحيطه(٩) بجبل رحمه الله تعالى الوسيعه فالله تعه ٠٠٠(١٠)

١٥ بجدد لمولانا الســلطان في كل لحظه(١١)عزا ونصرا ويجرى له على ما اجرى في الدارين

١٦ احرا وذلك على يد الجنابين اله لبين الاميرين الكبيرين (١٢)

---

١ ـ في لوح عرفة « الله تعالى » ، وكذلك أيضا في « مرآة الحرمين » ٠

٢ ـ هكذا أيضا في لوح عرفة ، أما ابراهيم رفعت باشا فقد كتبها « الملائكة » ٠

٣ ـ هكذا أيضا في لوح عرفة ، أما ابراهيم رفعت باشا فقد كتبها « رسل الله تعالى » ٠

٤ ـ في لوح عرفة « لا ريا فيها ولا امترا يجد ثوابها » ، وقد نقلها ابراهيم رفعت باشا كذلك باضافة همزة مفردة الى « ريا » ٠

٥ ـ في لوح عرفة « فجرت بحمد لله » ، وفي مرآة الحرمين « فجرت بحمد الله » ٠

٦ ـ هكذا أيضا في لوح عرفة ، أما ابراهيم رفعت باشا فقد كتبها « احصاؤها » ٠

٧ ـ في لوح عرفة « مع تنظيف قعرها وبنا مصانعها » ، وقد نقلها ابراهيم رفعت باشا « مع تنظيف قعرها وبناء أساسها » ٠

٨ ـ هكذا أيضا في لوح عرفة ، أما ابراهيم رفعت باشا فقد نقلها « شرعتها » وفي قواميس اللغة المشرعة والمشرع مورد الشاربة ٠

٩ ـ هكذا في لوح عرفة وقد نقلها ابراهيم رفعت باشا « وبناء قناتها المحيطة » ٠

١٠ ـ في لوح عرفة « بجبل رحمة الله الوسيعة فالله » ، وفي « مرآة الحرمين » « بجبل الرحمة رحمة الله الواسعة فالله » ٠

١١ ـ وهكذا أيضا في لوح عرفة ، وقد نقلها ابراهيم رفعت باشا « يجدد لمولانا وسلطاننا وكل محيطيه » ٠

١٢ ـ هكذا في لوح عرفة ، وفي « مرآة الحرمين » « العاليين الاشرفين الكبيرين » ٠

١٧ ... اهين الحمالى (١) الاشرفيوشعيفه المباشر للعمل السيفي سنقر الحملى الاسرفى احرل توابهاواحر مابها(٢)فى مده اولها (٣)

١٨ ...ع(٤)الاخر واخرها سهر رحب(٥)سنه حمس وسبعين وثمانى مايه(٦)وصلى الله على محمد(٧)واله وصحبه وسلم

والسلطان الملك الاشرف أبو النصرقايتباي المحمودي الظاهـــري هــو السادس عشر من مجمــوع سلاطــينالمماليك البحرية والجراكسة،والثامن من السلاطين الجراكسة ، ويعد أعظمالمماليك الجراكسة ، وكانت مــــدة حكمه تسعة وعشرين عاما فيما بــينثلاث وسبعين وثمانمائــة واثنتــين وتسعمائة هجرية (١٤٦٨ـ١٤٩٦م) ،وهي فترة طويلة لم تتح لغــيره مــن سلاطين المماليك على اطلاقهم فيما عداالسلطان الناصر محمد أحد سلاطين

---

١ ـ يبدو أن الاسم هو « شاهين الجمالى »، وكذلك في لوح عرفة فيما يبدو وان كانت الكتابة غير واضحة تماما ، وقد نقلها ابراهيم رفعت باشا « سلطاننا الحالى » . ويذكر القطبي ص ٢٨٤ أن عمارة عينعرفة كانت « بمباشرة الامير يوسف الجمالى وأخيه الامير سنقر الجمالى » . وقد ذكر القطبي سنقر الجمالى أكثر من مرة وذلك في الصفحات ١٩٧ و ١٩٨ و ٢٠٠ .

٢ ـ في لوح عرفة « أجزل الله تعالى ... » وبقية الجملة غير واضحة ، وقـــد نقلها ابراهيم رفعت باشا « أجزل اللـه تعالى ثوابها وأحيا مجدها » .

٣ ـ في لوح عرفة الكتابة غير واضحة وقدنقلها ابراهيم رفعت باشا « ابتداؤها » .

٤ ـ في لوح عرفة الكتابة غير واضحة وقد نقلها ابراهيم رفعت باشا « ربيع » .

٥ ـ في لوح عرفة « رجب الفرد الحرام »، وكذلك في « مرآة الحرمين » .

٦ ـ في لوح عرفة « عام خمسة وسبعين وثمانى مائه » وفي « مرآة الحرمــين » « عام خمسة وسبعين وثملمائة سنة ٨٧٥ »

٧ ـ في « مرآة الحرمين » « سيدنا محمد »

المماليك البحرية (١)・ويذكر القطبي أن الخواجا محمود جلبه الى مصر فنسب اليه ، ثم اشتراه الاشرف برسباى ثم أعتقه الظاهر جقمق واليه انتسب ・ وقد انتقل في المراتب الى أن صار في دولة الظاهر خوشقدم « أمير مائة الف مقدم » (٢) ثم أتابكا (٣) في دولة الظاهر تمربغا ، وبعد خلع تمربغا قبل السلطنة بعد تعزز وتمنع (٤) ・ ويصفه القطبي بأنه كان « أحسن ملوك الجراكسة عقلا ودينا وخيرية » ・ (٥) وفي موضع آخر من كتابه يقول عنه انه « كان ملكا جليلا وسلطانا نبيلا له اليد الطولى في الخيرات والطول الطائل في اسداء المبرات ، بنى بالمساجد الثلاثة (٦) عدة ربط ومدارس وجوامع عظيمة الآثار، باهرة الانوار ، وله بمصر والشام وغيرها آثار جليلة وخيرات جميلة » ・ (٧) وذكر عنه ابن اياس أنه كان « وافر العقل سديد الرأي ، عارفا بأحوال المملكة ، يضع الاشياء في محلها ・・・ موصوفا بالشجاعة عارفا بأنواع الفروسية » ・ (٨)

---

١ ـ سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المماليكي في مصر والشام ، الطبعة الاولى ، ص ١٧٤ ・

٢ ـ يبدو أن المراد « أمير مائة مقدم ألف »وهي أعلى مراتب الامراء في عصر المماليك وكانت خاصة بأرباب السيوف ・

٣ ـ اي مقدم العسكر والقائد العام للجيش المماليكي ・

٤ ـ القطبي : ص ١٩٥ ・

٥ ـ القطبي : ص ١٠١ ・

٦ ـ في مكة والمدينة والقدس ・

٧ ـ القطبي : ص ١٩٥ ・・

٨ ـ ابن اياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور : ج٣ ص ٣٢٢ طبعة جمعية المستشرقين الالمانية ، تحقيق د ・ محمد مصطفى ・

وقد قام قايتباي بعدة أسفار فطاف في بلاد الشام وشمال الفرات والوجهين البحري والقبلي في مصر ،فضلا عن زيارة الاماكن المقدسة في الحجاز وفلسطين ، وكان يقيم في البلاد التي يزورها المساجد والمدارس وخزائن الكتب وينشيء الحصون والطرق والجسور وغيرها • (١) وتدل آثاره العديدة على أنه كان ينفق ماكان يجمعه من ضرائب في اقامة المنشآت الدينية والمباني العامة وفي اصلاح ما أقامه أسلافه من منشآت وفي حروبه (٢) • وفي عهده التجأ الامير العثماني جم الى مصر فاغضب ذلك السلطان بيازيد فنشبت الحرب بينه وبين قايتباي سنة تسعين وثمانمائة (١٤٨٥ م) ، على أنه تم لقايتباي النصر على العثمانيين (٣) •

وقد خص قايتباي مكة المشرفة والمدينة المنورة بعنايته وأنشأ فيهما كثيرا من المنشآت • ففي أول ولايته أرسل الى مكة المشرفة المراسيم والخلع الى السيد الشريف محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بولاية الحرمين ، والى قاضي القضاة برهان الدين ابراهيم بن علي بن ظهيرة بقضاء مكة ، وبأبطال جميع المكوس والمظالم ، وقد سجل ذلك نقشا على اسطوانة من أساطين الحرم الشريف بالقرب من باب السلام (٤) • ومن مآثره في مكة أنه في سنة أربع وسبعين وثمانمائة (١٤٦٩ م) بنى مسجد الخيف في منى وجعل في وسطه قبة عظيمة وأنشأ له أربع بوائك والى جانب القبة مئذنة ذات ثلاثة طوابق وأقام بجانب الباب دارا

---

١ ـ ابن اياس : جـ ٣ ص ٣٢٩ ، عاشور : ص ١٧٥ و ٣٢١ و ٣٣٤ •

٢ ـ Lane — Poole, A History of Egypt in the Middle Ages, London 1936, P. 344.

٣ ـ القطبي : ص ٢٢٣ ، محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي : ص. ١٠٩ •

٤ ـ القطبي : ص ١٩٦ •

يسكنها أمير الحج . (١) وفي عرفة عمر مسجد نمرة وجعل في صدره رواقين عظيمين يستظل بهما الحجاج وقت الصلاة (٢) . ويذكر القطبي أنه « جدد العلمين الموضوعين لحد عرفة والعلمين الموضوعين لحد الحرم وبيض المسجد الذي بمزدلفة على جبل قزح وهو المشعر الحرام على رأى » (٣) .

وفى سنة تسع وسبعين وثمانمائة (١٤٧٤ م) وصل المسجد الحرام منبر من الخشب فركب في جهة باب السلام وجر الى المطاف (٤) . وحوالى سنة ثمانين وثمانمائة (١٤٧٥ م) أنشأ قايتباي مئذنة للمسجد الحرام بين باب النبي صلى الله عليه وسلم وباب السلام وكانت تسمى منارة قايتباي (٥) . وفي سنة احدى وثمانين وثمانمائة (١٤٧٦ م) أصلح خشب سقف المسجد الحرام بالرواق الشرقي وغير رخام الحجر الشريف من داخله وخارجه . (٦) وفي سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة (١٤٧٨ م) أرسل قايتباي الى المسجد الحرام كسوة لداخل الكعبة الشريفة (٧) .

وفي سنة أربع وثمانين وثمانمائة (١٤٧٩ م) خرج قايتباي الى الحج ، وعندما وصل الى ينبع عرج الى المدينة المنورة لزيارة قبر النبي عليه أفضل الصلاة والسلام . وقد ذكر السمهودي أنه ترجل عن فرسه عند باب سور المدينة ومشى على قدميه بين ربوعها ودورها تأدبا مع النبي

---

١ ــ القطبي : ص ١٩٦ وما بعدها . انظر مرآة الحرمين : ج ١ ص ٣٢٤ و ٣٢٥ ، ومحمد لبيب البتنوني : الرحلة الحجازية : ص ١٨٩ .

٢ ــ القطبي : ص ١٩٦ ، مرآة الحرمين : ج ١ ص ٣٣٦ ، الرحلة الحجازية : ص ١٨٦

٣ ــ القطبي : ص ١٩٦ ، مرآة الحرمين : ج ١ ص ٤٧ وما بعدها ، الرحلة الحجازية : ص ١٨٥ .

٤ ــ القطبي : ص ١٩٧ ، مرآة الحرمين : ج ١ ص ٢٥٤ ، حسين عبد الله با سلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام : ص ٢٣٨ وما بعدها .

٥ ــ مرآة الحرمين : ج ١ ص ٢٣٥ ، با سلامة : ص ٢٦٥ و ٢٦٧ .

٦ ــ القطبي : ص ١٩٧ ، مرآة الحرمين : ج ١ ص ٣٠٦ وما بعدها ، با سلامة : تاريخ الكعبة المعظمة : ص ١٧٠ و ١٧٢ ، محمد طاهر الكردي : كتاب التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم : ج ٣ ص ١٢٤ وما بعدها و ١٢٦ .

٧ ــ با سلامة : تاريخ الكعبة المعظمة : ص ٢٤٣ .

عليه الصلاة والسلام حتى وقف بين يديه . وقد عرض عليه « الدخول الى الحجرة الشريفة فتعاظم ذلك وقال : لو أمكنني أن أقف أبعد من هذا الموقف وقفت فالجناب عظيم ومن ذا الذي يقوم بما يجب له من التعظيم ؟ » (١) وقد أمر برفع بعض البدع وازالة المكوس عن المدينة وجعل لاميرها في مقابل ذلك « ألف اردب قررها له في كل عام » وفرق على فقراء المدينة وفقهائها وعلمائها« نحو ستة آلاف ذهب » . (٢)

وفي الطريق الى مكة المكرمة كان قايتباي يلاطف مستقبليه « ويسأل عن أحوالهم ويشكر مسعاهم ويطمن خواطرهم ويجابرهم بالمكالمة وينصت لهم اذا تكلموا ... ويبدي لهم وافر الانبساط وألبسهم السلطان خلعا فاخرة مرارا عديدة » (٣) . وفي المسجد الحرام قبل الحجر الاسود ، وبعد أن أتم الطواف صلى خلف مقام ابراهيم ثم سعى بين الصفا والمروة . وفي اليوم التالي استمر يتصدق بالليل كثيرا الى أن طلع الى عرفة حيث وقف بجبل الرحمة متضرعا ثم أفاض مع الناس وأتم حجه وفرق الاضاحي ووزع الهدايا الكثيرة ولعله شاهد آنذاك ما أمر بعمله في عين عرفة واللوح الذي أقيم لتلك المناسبة .

ومن اللوحات المنقوشة داخل الكعبة ما يدل على أن قايتباي أمر بتجديد ترخيم داخل البيت العتيق سنة أربع وثمانين وثمانمائة (١٤٧٩ م) (٤) . وفي سنة خمس وثمانين وثمانمائة (١٤٨٠ م) تم اصلاح بعض الاماكن في الرواق الاوسط من الناحية الغربية من المسجد الحرام وفي نواحي سقف بعض الاروقة وفي المسعى ومجرى السيل الى المسجد (٥) .

---

١ ـ القطبي : ص ٢٠٢ .

٢ ـ القطبي : ص ٢٠٣ و ٢٨٠ .

٣ ـ القطبي : ص ٢٠٣ .

٤ ـ مرآة الحرمين : جـ ١ ص ٢٦٦ ، الكردي : جـ ٣ ص ٢٤٦ ، جـ ٤ ص ١١٤ ، الرحلة الحجازية : ص ١٠٧ وما بعدها ، با سلامة : تاريخ الكعبة المعظمة : ص ١٣٩ و ٢٠٧ .

٥ ـ با سلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام : ص ١١٣ وما بعدها .

وفي سنة ثمان وثمانين وثمانمائة (١٤٨٣ م) استبدل قايتباي رباط المراغي ورباط السدرة (١) واشترى دارا بجانب رباط المراغي وهدم ذلك كله وبنى مكانه مدرسة ، يدرس فيها علماء المذاهب الاربعة(٢)، ورباطا فيه اثنتان وسبعون خلوة يسكنها الفقراء ، ووقف عليهما ربوعا مسقفات بمكة واقطاعا بمصر يصرف من ريعها على المدرسين والقراء وعلى أهل الخلاوى والتلاميذ والايتام (٣) ٠ وقد بنى المدرسة بالرخام الملون والسقف المذهب وأرسل اليها خزانة كتب وقفها على طلبة العلم ٠ وعلى يمين خان البزازين بالمسعى شيد قايتباي سبيله وذلك قبل سنة أربع وثمانين وثمانمائة (١٤٧٩ م) التي حج فيها كما يفهم مما ذكره القطبي (٤) ٠

وفي المدينة المنورة أجرى قايتباي في سنة تسع وسبعين وثمانمائة (١٤٧٤ م) عدة أعمال معمارية هامة في المسجد النبوي الشريف شملت بعض سقفه وأساطينه وجدرانه ومآذنه (٥) ٠ وفي سنة احدى وثمانين (١٤٧٦ م) جددت منارة مسجد قباء كانت قد سقطت في سنة سبع وسبعين وثمانمائة (١٤٧٢ م) (٦) ٠ وفي هذه السنة جدد قايتباي أيضا بعض سور المدينة المنورة الخارجي (٧) ٠

وفي سنة ست وثمانين وثمانمائة (١٤٨١ م) أصابت صاعقة هلال

---

١ ـ عن رباطي المراغي والسدرة أنظر التقي الفاسي : العقد الثمين : ج ١ ص ١١٨ ، القطبي : ص ٩٧ و ١٨٥ وما بعدها و ١٩١ وما بعدها ٠

٢ ـ الرحلة الحجازية : ص ٩٦ ٠

٣ ـ القطبي : ص ٩٧ و ١٩٧ وما بعدها ، با سلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام : ص ٩٠ وما بعدها و ١٧١ ٠

٤ ـ القطبي : ص ٢٠٥ ٠

٥ ـ مرآة الحرمين : ج ١ ص ٤٦٤ ٠

٦ ـ مرآة الحرمين : ج ١ ص ٣٩٦ ٠

٧ ـ مرآة الحرمين : ج ١ ص ٤١١ ٠

المئذنة الشرقيه اليمانية في المسجد النبوي الشريف فانشق رأس المئذنة ومات رئيس المؤذنين . وأصابت الصاعقة كذلك سقف المسجد فعلقت به النار واشتد لهيبها ولم يقو الناس على اطفائها . وقد استوعبت جميع المسجد الشريف والقبة العليا التي فوق قبة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأحرقت ما في المسجد من المصاحف العظيمة وخزائن الكتب النفيسة ، وتهدمت جدران المسجد ، وتداعى من أساطينه نحو مائة وعشرين اسطوانة ، واحترق المنبر والمقصورة التي حول الحجرة الشريفة . على أن النار لم تمس جوف الحجرة الشريفة كما أن الاساطين الملاصقة لها سلمت من الحريق (١) .

ولما بلغ ذلك السلطان قايتباي هاله الامر ، على أنه لم يلبث أن أدرك نعمة الله عليه بتوفيقه الى العمل على اصلاح ما أفسدته النيران ، فأمر بوقف « جميع العمائر المكية وغيرها وأن يتوجه شادها (٢) السيوفي سنقر الجمالي مبادرا الى المدينة الشريفة وأرسل اليه نحوا من ثلثمائة من أرباب الصنائع وكثيرا من الحمير والجمال والبغال وسائر مؤنهم ومبلغا من الخزانة نحو مائة ألف دينار فأكثر ، وجهز المؤن الكثيرة الى أن امتلأت البنادر بها كالطور والينبع ونقلت الى المدينة الشريفة » (٣) .
واشتدت أعمال البناء والتجديد الى أن كملت عمارة المسجد النبوي الشريف والقبة الشريفة (٤) والمآذن والاساطين . وفي دار الآثار العربية

---

١ ـ القطبي : ص ١٩٨ وما بعدها .

٢ ـ ذكر القلقشندي أن شاد العمائر هو الذي يكون « متكلما في العمائر السلطانية مما يختار السلطان احداثه أو تجديده من القصور والمنازل والاسوار » . صبح الاعشى : جـ ٤ ص ٢٢ .

٣ ـ القطبي : ص ٢٠٠ ، مرآة الحرمين : جـ ١ ص ٤٦٤ وما بعدها .

٤ ـ يذكر دحلان أنه « لما كانت عمارة السلطان قايتباى للمسجد النبوي سنة سبع وثمانين وثمانمائة جعلت القبة المشرفة متناهية في العلو وجعلت من الآجر وأسس لها دعائم عظام » . الفتوحات الاسلامية : جـ ١ ص ٦٤ ، على أن ابراهيم رفعت باشا يذكر أنها بنيت بالحجر الاسود المنحوت وأكملت بالحجر الابيض ، وكانت قبل ذلك من الخشب . مرآة الحرمين : جـ ١ ص ٤٧٤ .

في القاهرة شمعدان من عهد قايتباي تسجل نقوشه أنه صنع ليهدى الى الحرم النبوي الشريف سنة سبع وثمانين وثمانمائة (١٤٨٢ م) (١) ٠

علاوة على ذلك أمر قايتباي بأن يبني له حول المسجد النبوي الشريف رباط ومدرسة ومئذنة ، فأنشئت له مدرسة عظيمة ورباط يشرف على المسجد النبوي الشريف وذلك بين باب السلام وباب الرحمة ٠ وأرسل الى المدرسة خزانة كتب جليلة وقفها على طلبة العلم ، كما أرسل كثيرا من المصاحف والكتب لخزنة المسجد الشريف عوضا عما احترق منها ٠ « ووقف قرى كثيرة بمصر تحمل غلاتها الى جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم فيفرق عليهم ، لكل شخص ما يكفيه من الحب بطول السنة ، فكانت حصة كل نفر سبعة أرادب في العام فسوى في ذلك بين الصغير والكبير والحر والعبد » (٢) ٠ وقد جاء أنه أنفق على هذه العمارة مائة وعشرين ألف دينار (٣) ٠

وفي عام ثمان وثمانين وثمانمائة (١٤٨٣ م) أنشأ قايتباي سورا من شباك من النحاس حول الدائر المخمس وقبر السيدة فاطمة (٤) ٠ وشيد سورا مماثلا يفصل بينه وبين الدائر المخمس وما يليه ٠ ويذكر ابن اياس أن قايتباي أرسل هذه الشباك مع المحمل وأن زنتها ٤٠٠ قنطار حملها الى المدينة سبعون جملا وأنه أرسل معها مصحفا كبيرا نادر المثال حمل على جمل بمفرده ٠ وفي هذه السنة أرسل قايتباي كذلك الى المسجد النبوي منبرا من الرخام (٥) ٠

---

١ ـ زكي حسن : فنون الاسلام : ص ٥٥٩ ، شكل ١٧٧ ٠
٢ ـ القطبي : ص ١٠٠ و ٢٠٠ ، الرحلة الحجازية : ص ٢٤٤ وما بعدها ٠
٣ ـ ابن اياس : بدائع الزهور : جـ ٢ ص ٠ ٢٢ و ٢٣٢ ، مرآة الحرمين : جـ ١ ص ٤٧٥ وما بعدها ، الرحلة الحجازية : ص ٢٤٦ ٠
٤ ـ مرآة الحرمين : جـ ١ ص ٤٧١ ، الرحلة الحجازية : ص ٢٤١ ملحوظة ١ ٠
٥ ـ بدأت المنابر من الرخام تظهر في عصر المماليك البحرية ، ومن أبدع هذه المنابر المنبر الذي امر بانشائه قايتباي في مدفن السلطان برقوق سنة ثمان وثمانين وثمانمائة (١٤٨٣ م) ٠ زكي حسن : الفنون الاسلامية ، ص ٦٣٩ ٠

ومات قايتباي بعد أن جاوز الثمانين من عمره وكان له مشهد عظيم ودفن في مدفنه بالصحراء الشرقية من القاهرة ، وقد تم بناؤه في حياته سنة تسع وثمانين وثمانمائة (١٤٨٤ م) • وهو يعد من أهم عمائر المماليك الجراكسة في مصر ، ويتالف من مدرسة وسبيل ومكتب وقبة ، ويمتاز بجمال نسبه المعمارية ورشاقة مئذنته وقبته وحسن زخارفهما ، كما يمتاز بتنوع رسوم الرخام في أرضيته ورسوم سقوفه (١) • وقد صلى عليه صلاة الغائب في المساجد الثلاثة (٢) •

يتضح من هذا كله عناية قايتباي بصفة خاصة بكل من مكة المكرمة والمدينه المنورة وما بذله لاهلهما من رعاية وما كان عليه من تواضع وحسن خلق • على أنه يعنينا بعد التعريف بصاحب اللوح الذي نحن بصدده ماذكره بعض المؤرخين والكتاب من عمل له تشهد به نقوش هذا اللوح مما قد يشير الى أن بعضهم قد اعتمدوا في أخبارهم على مصادر أصلية (٣) •

لقد ذكر القطبي أن السلطان قايتباي رأى أن يجدد عين عرفة بعد أن كان ماؤها قد انقطع منذ مائة وخمسين سنة ، وقد ابتدأ المعمار

---

١ ـ زكي حسن : الفنون الاسلامية : ص ٧٧ وما بعدها وشكل ٥٢ •
٢ ـ القطبي : ص ٢٠٦ •
٣ ـ مما يزكى أن من المؤرخين العرب من كان يعتمد في بعض أخباره على مشاهدة الآثار ما يذكره التقى الفاسي في مقدمة كتابه أنه عرف طرفا جيدا من أخباره « بعضه من كتب التاريخ وبعضه من رخام وأحجار واخشاب مكتوب فيها ذلك ثابتة في الاماكن المشار اليها » • شفاء الغرام : ج ١ ص ٢ وما بعدها ، العقد الثمين: ج ١ ص ٨ • ويؤيد ذلك أيضا ما يذكره من رخامات مكتوبة في داخل الكعبة ، وما نقله من نقوش حجرين رآهما بالقرب من العلمين اللذين هما حد عرفة ومن أن اسم اقبال الشرابي المستنصرى العباسي على بعض البرك التي حول جبل الرحمة ومن أن في رأس طى بئرين من آبار العسيلة ما يقتضى ان المقتدر العباسي أمر بحفرهما ، وفي طى غيرهما ما يقتضى أن العجوز والدة المقتدر عمرتها ، مما يشير الى اعتماده في ذلك على المشاهدة الشخصية أو على من سبق له مشاهدة ذلك • شفاء الغرام : ج ١ ص ١٠١ وما بعدها و ٣٠٢ و ٣٤٠ و ٣٤٥ •

العمل فيها من سفح جبل الرحمة الى وادي نعمان حيث وجد الماء بكثرة فاقتصر على ذلك ولم يمض الى أم العين وقد « أصلح البركة وملأها بالماء ثم أصلح عين خليص وأجراها وأصلح بركتها وبنى قبتها وامتلأت البرك وعم النفع بها وبعين عرفات ، وكان ذلك من أعظم الخيرات بالنسبة الى الحجاج والزوار »· (١) وفي مكان آخر من كتابه يذكر القطبي أن قايتباي أرسل الخواجا شمس الدين المعروف بابن الزمن وأنه « أجرى عين الزرقاء (٢) بالمدينة وعين خليص في طريق المدينة وعين عرفات وغير ذلك من الخيرات الجارية الى الآن » (٣) ·ويذكر في موضع ثالث أن قايتباي « عمر عين عرفات وأجراها الى أرض عرفات وعمر عين حنين (٤) الى أن جرت الى مكة وعمر عين خليص وحصل بها الرفق للحجاج واهل البلاد ودعوا له وأثنوا عليه بذلك وباحساناته وكثرة خيراته ضاعف الله تعالى أجره ومثوباته وذلك بمباشرة الامير يوسف الجمالي وأخيه الامير سنقر الجمالي رحمهما الله تعالى في سنة خمس وسبعين وثمانمائة » (٥) ·

وأول ما يلفت النظر أن ما يذكره القطبي عن سنة عمارة قايتباي لعين عرفة وهي سنة خمس وسبعين وثمانمائة تتفق تماما والسنة المذكورة في نهاية النصين المسجلين على اللوحين· ويلفت النظر أيضا الاتفاق بين القطبي وبين اللوحين في أن اللذين باشرا العمل هما شقيقان وأن أحدهما هو سنقر الجمالي ، وفي ذلك ما يحمل على الظن بأن القطبي المتوفى سنة

---

١ ــ القطبي : ص ١٩٦ وما بعدها ، مرآة الحرمين : جـ ١ ص ٢١٦ وما بعدها ·
٢ ــ عن عين الزرقاء انظر التقي الفاسي : شفاء الغرام : جـ ٢ ص ٤٣٠ ومرآة الحرمين : جـ ١ ص ٤٣٣ ·
٣ ــ القطبي : ص ١٠٠ ·
٤ ــ عن عين حنين انظر ص ٧ ·
٥ ــ القطبي : ص ٢٨٤ ، محمد باشا صادق : دليل الحج للوارد الى مكة والمدينة من كل فج : ص ٦٢ ·

ثمان وثمانين وتسعمائة (١٥٨٠ م) أي بعد أكثر من مائة سنة من عمارة قايتباي لعين عرفة قد اعتمد فيما كتب على نقوش لوح عرفة . ومهما يكن من أمر فانه يستفاد مما ذكره القطبي وما يسجله اللوحان أن قايتباي عنى بتعمير عين عرفة في السنة الثانية من توليه السلطنة في مصر .

ويدل ما وعاه التاريخ من أخبار عمارة عين عرفة ، كما هو واضح من المقدمة ، على أن الامر كان يدعو الى تجديد عمارتها من وقت الى آخر ، لذلك فان ما جاء في نقوش لوح قايتباي من أن « عين عرفة المشرفة كانت قد محى اسمها وتعطل رسمها وعفا أثرها ولم يبق الا خبرها وهم كثير من الملوك والسلاطين بعمارتها فلم تساعدهم القدرة على مقاومتها ومضى على ذلك دهور ويئس منها لما أتى عليها من العصور » لا يخلو من مبالغة القصد منها زيادة تعظيم ما قام به قايتباي من عمل رغم ما عرف عنه من تواضع وحسن خلق ، ولكنها عادة الكتاب في أكثر الاحيان في كافة العصور . وتبدو المبالغة واضحة اذا لوحظ أن العمل تم في مدة لم تتجاوز أربعة شهور على الاكثر وصفت بأن احصاءها يقارب « أشهر العدة » كما أن القطبي يذكر أن المعمار ابتدأ العمل « من سفح جبل الرحمة الى وادي نعمان حيث وجد الماء بكثرة فاقتصر على ذلك ولم يمض الى أم العين » . الى جانب ذلك يدل ما ذكرناه من أعمال بعض السلاطين في عمارة هذه العين على أن فيما يذكره القطبي من أن ماء هذه العين انقطع منذ مائة وخمسين سنة (١) مغالاة كبيرة لا تستقيم وما ذكره هو نفسه من أن الشريف حسن عجلان عمر عين عرفة ببعض ما أرسله أحد سلاطين أقصى الهند من أموال وكان ذلك سنة احدى عشرة وثمانمائة

---

١ ــ ذكر ذلك أيضا الزواوي في رسالته ص ١٣ ، وما من ريب في أنه نقل عن القطبي وهو ما تشهد به عباراته التي تماثل عبارات القطبي الى حد كبير .

على حد قولـه وبما يتفق وما ذكـره التقى الفاسي قبله (١) ، هذا فضلا عن أن الملك المؤيـد أبا النصـر شيخ عمرها ثلاث مرات في السنتين احدى وعشرين واثنتين وعشرين وثمانمائة كما ذكرنا • فاذا لم يكن أحـد مـن سلاطين مصر الذين حكموا بعد ذلك ،وهم برسباى وجقمق (٢) واينال قد عمر عين عرفة يكون قد مضى بين آخر عمارة لها حتى عمارة قايتباي ثلاث وخمسون سنة على الاكثر •

فيما عدا ذلك يلاحظ في تسجيل نقوش اللوح المقتنى ما يلي :

١ ـ تعلو البسملة زخرفـة مـن خطوط مقوسة متشابكة وتتقـدمها زخرفة نباتية قصيرة •

٢ ـ من النقوش ما ميزه النقاش ببعض العـلامات والحـركات وهي الفتحـة والفتحتان والكسرة والضمة •

---

١ ـ القطبي : ص ١٧٧ ، التقى الفاسي : شفاء الغرام : ج ١ ص ٣٤٧ وما بعدها •

٢ ـ يذكر القطبي ان السلطان الظاهـر جقمق أرسل الامير سودون المحمدي « ليكـون اميرا فارسا من الترك مقيما بمكـة وشيد العمائر بها » وأن من أعماله سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة (١٤٣٩ م) أنه رمم وأصلح سقف الكعبة والرخام بداخلها كما أصلح رخام الحجر وبيض مئذنة باب السلام ومئذنة باب الحزورة وأصلح مئذنة باب العمرة ورمم اسفل مئذنة باب علـي واصلح سقف المسجد الحرام والرفرف الدائر بالمسجـد الحـرام وبيض علـو مقام ابراهيم وعلو مقام الحنيفة وقبة باب ابراهيم والاميال التي بلصق دار العباس في المسعى والميل الذي في ركن المسجد بقرب باب بازان والذي يقابله • ويضيف الى ذلك كله أنه « عمر ما بقي من المواضع المأثورة في منى وفي المشعر الحرام بمزدلفة ومسجد نمرة بعرفة وقطع جميع أشجار السلم والشوك الذي كان بين المارين فـي طريق عرفة » ، وكان اللصوص يكمنون تحت الشجر وينهبون ما يظفرون به مـن الحجاج ، كما أنه « أزال الصخور الكبار ونظف الطريق ووسعها وشكره الحجاج على ذلك ودعوا له»• القطبي : ص ١٩٠ ومابعدها• وتحمل جميع هذه الاعمال على الاعتقاد بأنه من غير المحتمل أن تكون عـين عـرفـة « قد محى اسمها وتعطل رسمها وعفا أثرها ولم يبق الا خبرها » مع أن جـريانها وتوفيرها الماء للحجاج لم يكن يقل أهمية لهم عن قطع أشجار السلـم والشـوك وتنظيف الطريق وتوسيعه •

٣ ـ للياء في آخر الكلمات نقطتان تحتها أو فوقها في بعض الاحيان ٠

٤ ـ من الحروف ما تنقصه النقط في كثير من الاحيان وخاصة الشين والتاء المربوطة ٠

٥ ـ من الكلمات ما تنقصه الهمزة المفردة وهمزة القطع والهمزة على النبرة والهمزة على الواو ٠

٦ ـ الفصل بين واو العطف في نهاية السطر والاسم المعطوف في أول السطر التالي ٠

٧ ـ اغفال كتابة الياء في « كثير » في السطر السادس ٠

٨ ـ اضطراب العبارة في نهاية السطر السابع عشر ويبدو أن المقصود هو « أجزل الله ثوابهما وأجريا ماءها في مدة أولها » ٠

ومهما يكن من أمر فأنه بالرغم من تلف بعض أجزاء اللوح المقتنى وتحريف بعض ألفاظه فان له أهميته كنسخة أولى للوح قايتباي في عرفة فضلا عن قيمته الاثرية ٠

لوح السلطان سليمان خان

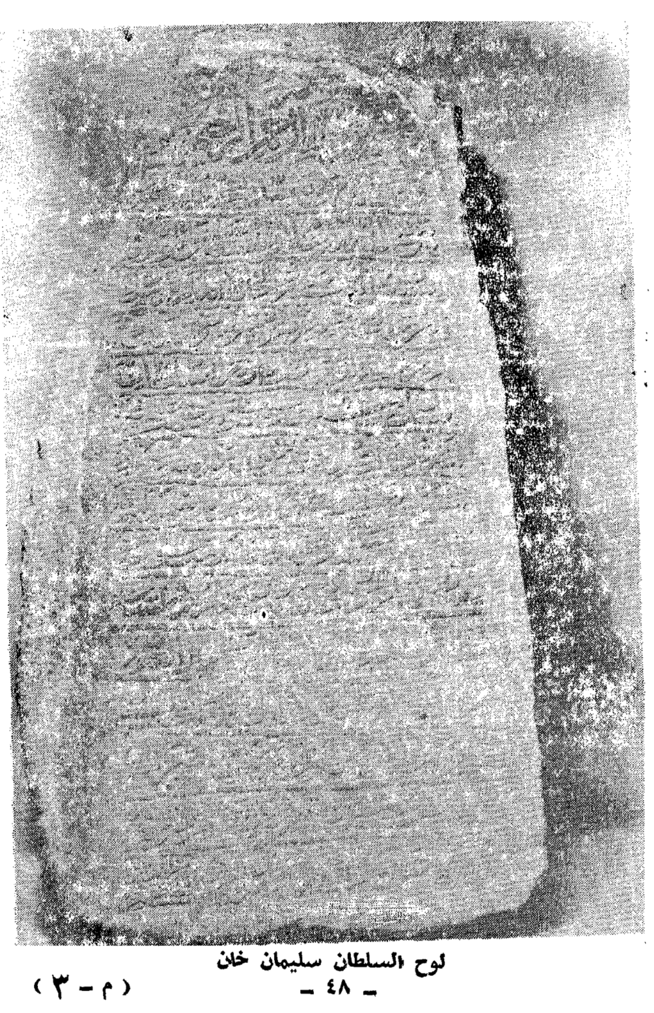
هو لوح منقوش من حجر البازلت مستطيل الشكل تقريبا ، ارتفاعه في أطول أجزائه متر وعرضه في أوسع أجزائه اثنان وخمسون سنتيمترا وسمكه نحو خمسة عشر سنتيمترا ٠ وسطح الجزء الاعلى من الجانب الايمن أوطى قليلا من بقية سطح اللوح ٠ وقد عثر عليه في حي الشبشة أحد أحياء مكة المكرمة ، وذلك أثناء حفر أساس مسجد الشيخ ابراهيم آل الشيخ المفتي ٠

ونقوش اللوح بارزة وهي بخط ثلث جميل ، يحلي أعلاها زخرف من أقواس متشابكة ثم البسملة والصلاة على النبي بخط كبير يليهما النص في أربعة عشر سطرا ٠ وطول السطر الاول ستة وثلاثون سنتيمترا ، وطول السطر الاخير أربعون سنتيمترا ، ويفصل كل سطر عن الآخر خط أفقي بارز ، وعرض كل سطر بين أربعة وستة سنتيمترات ٠ ويكتنف السطر الاخير مستطيلان صغيران النقش فيهما بخط صغير ٠ والنقوش في حالة جيدة ، على أنه يعتري حروف النصف الثاني من السطر الرابع لون أحمر ٠ والنص كما يلي :

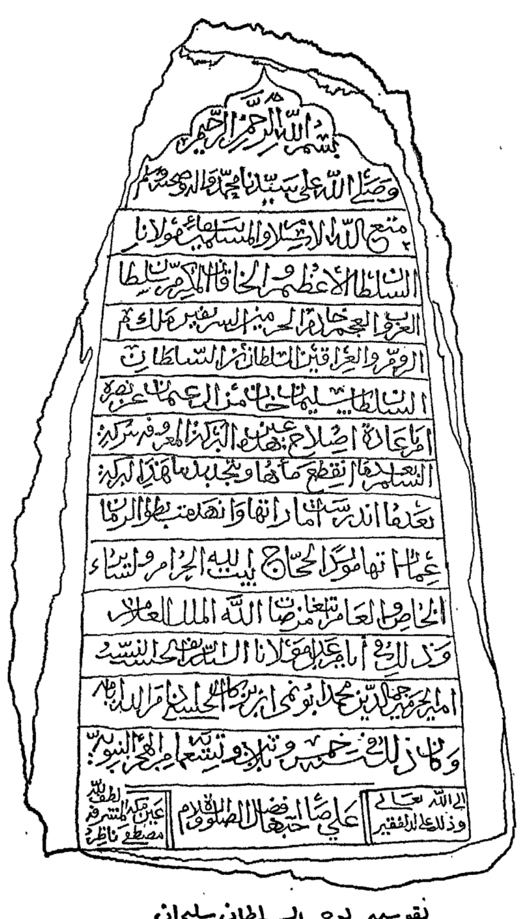
بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

١	**متع الله الاسلام والمسلمين ببقاء مولانا**
٢	**السلطان الاعظم والخاقان المكرم سلطان**
٣	**العرب والعجم خادم الحرمين الشريفين ملك**
٤	**الروم والعراقين السلطان بن السلطان**
٥	**السلطان سليمان خان من ال عثمان عز نصره**
٦	**امر باعادة اصلاح عين هذه البركة المعروفة ببركة**
٧	**السلم بعد ما انقطع ماءها وبتجديد بنا هذ البركة**
٨	**بعد ما اندرست اماراتها وانهدمت بطول الزمان**



لوح السلطان سليمان خان



نقوش لوح السلطان سليمان

٩ عماراتها موردا لحجاج بيت الله الحرام ولساير
١٠ الخاص والعام ابتغا مرضات الله الملك العلام
١١ وذلك في أيام عدل مولانا السيد الشريف الحسب والنسب
١٢ امير الحرمين جمال الدين محمد ابو نمى ابن بركات الحسنى ادام الله ايامه
١٣ وكان ذلك في سنة خمس وثلاثين وتسعمائة من الهجرة النبوية

لطف لله عين مكة المشرفة مصطفى ناظر	١٤ على صاحبها افضل الصلوة والسلام	الى الله تعالى وذلك على يد الفقير

ويبدأ النص بعد البسملة والصلاة على النبي بدعاء للاسلام والمسلمين بأن يمتعهما الله ببقاء السلطان سليمان خان ٠ والسلطان سليمان هو المعروف بالسلطان سليمان القانوني أو سليمان المشرع The law — giver. وهو السلطان العاشر من سلاطين آل عثمان ٠ وقد مارس شئون الحكم ابان حياة أبيه وتولى العرش عام ٩٢٥ هـ (١٥١٩ م) ، (١) ودام حكمه ثمانية وأربعين عاما هجريا (٤٦ عاما ميلاديا) اذ توفى سنة ٩٧٣ هـ (١٥٦٦ م) ٠(٢) وكان أعظم سلاطين آل عثمان ، اذ بلغت الدوله العثمانية في عهده غاية قوتها وازدهارها ، ولذلك من المؤرخين الاجانب من يسميه سليمان العظيم the magnificent. وكان السلطان سليمان فوق ذلك أعظم عاهل في القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادي) ، وكان من معاصريه شارل الخامس ، امبراطور

١ ــ يذكر احمد بن زيني دحلان في كتابه : الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية : الجزء الثاني ، طبع سنة ١٣٥٤ هـ ص ١٦٠ أن السلطان سليم أبا السلطان سليمان توفى سنة ٩٢٧ هـ وفي ص ١٧٠ يذكر أن سليمان تولى السلطنة سنة ٩٢٦ هـ بما يتفق وما ذكره القطبي : ص ٢٤٧ ٠
٢ ــ يتفق هذا وما ذكره دحلان : ص ١٧٠

الدوله الرومانية المقدسة ، وفرنسوا الاول وهنرى الثاني ملكا فرنسا ، وفيلب الثاني ملك أسبانيا ، وهنرى الثامن ملك انجلترا • (١)

وينسب المؤرخون الى عهده ستعشرة حملة (٢) ، استطاع بها أن يبسط سلطانه على جنوب شرقي أوروبا حتى أسوار فينا (٣) ، وأن يقضي على أغلب المراكز الصليبية في البحر المتوسط (٤) ، وأن يهزم سلطان العجم (٥) ، وأن يدخل بغداد (٦) ، وأن يفتح شمال أفريقيا فيما عدا المغرب الاقصى • وتدل أعماله على كفاءة ممتازة في قيادة الجيوش ومهارة كبيرة في تنظيم شئون الدوله ووضع التشريعات الدقيقة لحكم الولايات التي أخضعها لحكمه (٧) ، بما أهله حقا للالقاب الواردة في النص الذي بين يدينا • فهو السلطان الاعظم بفتوحاته العظيمه التي تم له فيها حتى السنة الخامسة والثلاثين والتسعمائة (١٥٢٩ م) ، تاريخ اللوح المقتنى ، الاستيلاء على بلغراد (١٥٢١ م) ورودس (١٥٢٣م) والمجر ووصلت جيوشه أسوار فينا (١٥٢٩ م) وذلك علاوة على ما كان

١ ـ عبد العزيز محمد الشناوي : أوروبا في مطلع العصور الحديثة ، ص ٦٨٤ • وكان من معاصري السلطان سليمان أيضا مارتن لوثر وكلفن •

٢ ـ ينسب دحلان الى عهده احدى وعشرين غزوة ، منها مالم يشترك فيها بنفسه ، دحلان : ص ١٧١ وما بعدها ، على أنه من المحقق أنه اشترك في ثلاث عشرة موقعة عظيمة منها عشر مواقع في أوروبا وثلاث في آسيا •

٣ ـ حاصر السلطان سليمان فينا في سنة ٩٣٥ هـ (١٥٢٩ م) ولكنه اضطر الى رفع الحصار عنها لقلة مؤن الجيش أو خشية برد الشتاء القارص • كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، ص ٤٥١ ، الشناوي ، ص ٧٠١ وما بعدها •

٤ ـ الشناوي ، ص ٦٨٤ •

٥ ـ حارب السلطان سليمان الفرس في ثلاث مواقع كبيرة وذلك في ١٥٣٤ ـ ١٥٣٥ و ١٥٤٨ ـ ١٥٤٩ و ١٥٥٤ ـ ١٥٥٥ م •

٦ ـ القطبي ، ص ٢٦٧ وما بعدها ، بروكلمان ، ص ٤٥٢ ، الشناوي ، ص ٧٣٣ ملحوظة ١ •

٧ ـ الشناوي ، ص ٦٨٥ وما بعدها •

له من سلطان في البلاد التي فتحها أبوه السلطان سليم الاول ومنها فارس (١) والعراق (٢) والشام ومصر والحجاز ، فكان بذلك « ملك العرب والعجم » ٠

وخاقان هو اللفظ العربي والفارسي للفظ المغولي والتركي قاغان ، ويعني حاكم أو سلطان ، وقد استخدمه أنصار القومية في تركيا الحديثة مفضلين اياه على لفظ سلطان أو خليفة ٠ وخان لفظ مختصر للفظ قاغان ، وقد استخدم في القرن الثامن الميلادي ثم كثر استخدامه في امبراطورية جنكيز خان وخلفائه في القرن الثالث عشر ٠ وهو في الوقت الحاضر يعادل لفظ « السيد » ويستخدم مع أسماء الموظفين وأصحاب الاملاك من المسلمين وخاصة في أفغانستان وباكستان والهند ٠ وفي استخدام لفظ « السلطان » قبل اسم سليمان وخان بعده تكرار لا ضرورة له ، على أنه يبدو أن الذوق العربي لم يشأ أن يبدأ باسم سليمان دون أن يسبقه لقب ، وهو ما جرت به العادة في اللغة العربية ، هذا اذا لم يكن العرب قد جهلوا أول الامر معنى خان ٠

وكان السلطان سليمان كذلك « ملك الروم والعراقين » ، فقد كان له السلطان على الروم في آسيا الصغرى وفي بلاد البلقان ٠ وكان السلطان بايزيد الاول قد أرسل في سنة ٧٩٧ هـ (١٣٩٤ م) عقب انتصاراته المجيدة بعثة الى الخليفة العباسي المتوكل في القاهرة ليخلع عليه لقب « سلطان الروم » بما يسبغ على ما أحرزه من سلطان طابعا شرعيا يكفل له الهيبة في العالمين الاسلامي والمسيحي ، وقد أجابه الخليفة الى ما أراد (٣) ٠ أما « العراقان » فالمقصود بهما عراق العرب (٤)

---

١ ـ القطبي ، ص ٢٦٧ وما بعدها ، بروكلمان ، ص ٤٥٢ ، محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ، ص ١٠٦ ، الشناوي ، ص ٧٣٣ ملحوظة ١ ٠

٢ ـ أنيس ، ص ١٣٥ ٠

٣ ـ بروكلمان ، ص ٤٢٠ ، أنيس ، ص ٣٥ ، الشناوي ، ص ٦١٠ ٠

٤ ـ كان العراق العربي من أقطار الدولة العثمانية ، ويقع في الحوض الادنى لنهري الدجلة والفرات ٠

وعراق العجم (١) • وقد دخل السلطان سليمان بغداد دخول الظافر في ٩٤١ هـ (٣٠ نوفمبر ١٥٣٤ م)وشيد فيها ضريح أبي حنيفة (٢) • ومن ألقابه كذلك « السلطان ابن السلطان » وقد قصد به أنه من بيت ملك وليس بطارىء على السلطنة •

أما لقب « خادم الحرمين الشريفين»فهو يشير الى ما عرف عن آل عثمان من حسن تدين وتحمس للاسلاموشدة تعلق بالاماكن المقدسة الاسلامية • وقد ذهب محمد فؤادكوبريللى ، أحد المؤرخين الاتراك المحدثين ، الى أن الاتراك العثمانيين اعتنقوا الاسلام قبل أن يرحلوا من موطنهم الاصلي في التركستان الىآسيا الصغرى (٣) • ومن الحوليات العثمانية القديمة ما يروى أن أرطغرلأبا عثمان مؤسس الدولة العثمانية ، قبل أن يأوى الى الفراش في دار أحدالشيوخ المسلمين ، رأى صاحبالدار يضع كتابا على الرف فسأله عنهفأجابه بأنه القرآن الكريم وأنه كلام الله سبحانه وتعالى أنزله على لسانمحمد عليه الصلاة والسلام • فأخذ أرطغرل الكتاب وراح يقرأه واقفاطول الليل اعزازا له ، ثم نام فرأى في نومه ملكا يبشره بعلو قدر ذريتهعلى مدى الايام والقرون جزاء احترامه القرآن (٤) •

---

١ ـ كان العراق العجمي ولاية وسط بلاد فارس وفيه من البلدان الهامة همذان وطهران وأصبهان • ويذكر القطبيفي ص ٢٣٤ أن الشاه اسماعيل الصفوي ملك تبريز واذربيجان وبغداد وعراق العرب وعراق العجم وخراسان • وفي ٢٦٩ يذكر أن السلطان سليمان فتح عراق العرب في غزوته السادسة •

٢ ـ أنيس ، ص ١٣٦ وما بعدها ، دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الثاني عشر ، مادة سليمان ص ١٤٩ ، ويذكر الشناوي ص ٧٣٣ ملحوظة ١ أن سليمان دخل بغداد في يناير ١٥٣٥ •

٣ ـ M. F. Koprulu, Les Origines de L' Empire Ottoman, Paris 1935 .

٤ ـ الشناوي ، ص ٥٢١ ملحوظة ١ •

وجاء كـــذلك أن السلطان عثمان قبل أن يتسلطن نـــزل ضيفا عـلى شخص ، فلما أراد النوم رأى مصحفا معلقا في جدار المكان الذي أعد فيـه فراشه ، فكبر عليه أن ينام والمصحف معلق ، فقام على قدميه حتى الصباح مستقبلا المصحف ويداه على صدره . وكان يكثر التردد على الشيـخ أدبالى القرمانى ، وفي احدى الليالي رأى في نومه أن قمرا خرج من حضن الشيخ ودخل في حضنه ، ثم نبتت من سرته شجرة عظيمة ملأت أغصانها الآفاق ، ورأى تحتها جبالا راسيات ، تجـري عندها عيون وأنهار والناس يشربون منها وينتفعون من مياهها (١) . فلما استيقظ قص رؤياه على الشيخ فبشره بمنصب السلطنة وأن أمره سيعلو ، وينتفع به وبأولاده الناس ، وزوجه ابنته . ويذكر بروكلمان ، المـــؤرخ الالماني ، أن عثمان تسلم من حميـه أدبالى ، رئيس المشايخ الصوفيـة ، « منطقة الجهاد والسيف » بوصفـه مجاهدا في سبيل الله (٢) .

ومهما يكن من أمر هـــذا القصص فهو يعبر عن اعزاز آل عثمان للقرآن الكريم وارتباطهم بالاسلام ، وكانوا منذ السلطان عثمان على الاقل يدينون بالدين الاسلامي . وقد جمع الاسلام العثمانيين في عقيدة دينية واحـدة ، استجابوا لها في حماس وكان لها أثر عظيـم في تاريخهـــم (٣) . وكانت فتوحاتهم في أوروبا باسم الاســلام ، وكانت انتصاراتهم تعتبـــر انتصارا للاسلام ، ويشهد بذلك أن السلطان اينال في القاهرة احتفل رسميا بفتح العثمانيين للقسطنطينية (٤) . وكانت الدولة العثمانية أعظم قوة اسلاميـة

---

١ ـ دحلان : جـ ٢ ، ص ١٢٦ وما بعدها . انظر كذلك الشناوي ، ص ٥٢١ ، ملحوظة ١
٢ ـ بروكلمان ، ص ٤٠٨ .
٣ ـ تمثل الدولة العثمانية ما يزيد على ستمائة عام من التاريخ الاسلامي ، وقد ظلت خلال هذا التاريخ الطويل متأثـرة بتعاليم الاسلام والتقاليد العربية ومذهب أهل السنة . انظر أليس ، ص ٧١ .
٤ ـ أليس ، ص ١٠٩ ، الشناوي ، ص ٥٢٥ و ٦٥٠ ، ومـا يجب أن يغيب عن البال أن استانبول تحريف لاسلامبول أي مدينة الاسلام .

افزعت المسيحيين في ممالك وسط أوروبا وغربها ، (١) وكانت الرمز الحي للاسلام بحيث كان كل نصر تحرزه نصرا للاسلام وهزيمة للمسيحية (٢) ٠

وكان سلاطين آل عثمان يحولون أكبر كنيسة في البلد الذي يفتحونه الى مسجد ٠ من ذلك تحويل كنيسة القصر في بروسه الى مسجد في آخر أيام السلطان عثمان وقد دفن فيه ، وتحويل السلطان محمد الفاتح كنيسة القسطنطينية الكبرى أياصوفيا الى مسجد جامع أشهر من أن يذكر (٣) ٠ وما كاد السلطان سليمان يستولي على بلغراد حتى أدى صلاة الجمعه في كاتدرائيتها وكان ذلك بداية تحويلها الى مسجد ، (٤) وعندما دخل عاصمة المجر أدى الصلاة في كنيسة القديسة ماري فتحولت الى مسجد (٥) ٠ وكان السلطان العثماني اذا فتح مدينة يقف في ردهة كنيستها ومعه كبار رجال الجيش حتى اذا انتهى المؤذنون من الآذان للصلاة دخل ومن معه الكنيسة يؤدون فيها الصلاة ومن ثم تتحول الى مسجد (٦) ٠

وقد ناصر محمد الفاتح العلوم الاسلامية (٧) ، وشيد مسجدا في القسطنطينية على انقاض كنيسة الرسول ، يعرف باسمه ويعد من اروع أمثلة العمارة العثمانية (٨) ٠ويذكر بروكلمان أن السلاطين

---

١ ـ بروكلمان ، ص ٤١٩ و ٤٤٩ ، الشناوي ، ص ٧٢٧ ٠
٢ ـ الشناوي ، ص ٦٩٤ ، انيس ، ص ١٠٩ ، أحمد السباعي : تاريخ مكة ، جـ ٢ ، الطبعة الثانية ، ص ٥ ٠
٣ ـ يذكر بروكلمان ص ٤٣١ أن محمد الفاتح دخل كنيسة أيا صوفيا واستولى عليها رسميا باسم الاسلام ٠انظر كذلك دحلان ، جـ ٢ ، ص ١٤٣ وما بعدها ، والشناوي ، ص ٦٤٨ ٠
٤ ـ الشناوي ، ص ٦٨٩ ٠
٥ ـ بروكلمان ، ص ٤٥٤ ٠
٦ ـ الشناوي ، ص ٥٥١ ٠
٧ ـ بروكلمان ، ص ٤٤١ ٠
٨ ـ بروكلمان ، ص ٤٣٣ ٠

والوزراء كانوا يتنافسون تنافسا نبيلا في انشاء المدارس الدينية في العاصمة وفي الولايات (١) ٠ وفي عهد السلطان سليم الاول اصطبغت الدولة العثمانية بصبغة عربية وزاد فيها الطابع الاسلامي قوة ٠ وقد أصبحت استانبول المركز الفكري الاول في العالم الاسلامي ، (٢) ويذكر بروكلمان أن مما شيده المهندس المعماري سنان بأمر السلطان سليمان من منشآت دينية واحدا وثمانين مسجدا كبيرا واثنين وخمسين مسجدا صغيرا وسبعة معاهد لدراسة القرآن وسبعة كتاتيب لتحفيظ القرآن وذلك عدا المنشآت المدنية الاخرى (٣) ٠ ومن أهم منشآت السلطان سليمان مسجده المسمى السليمانية في استانبول ، وهو أعظم مساجد آل عثمان وأروعها بناء ، فيه تتجلى ذروة ما حققته العمارة العثمانية من جمال وزخرف (٤) ٠ وقد جاء عن السلطان سليمان علاوة على ذلك كله أنه نسخ القرآن الكريم ثمان مرات ، ولا تزال النسخ محفوظة في مسجد السليمانية (٥) ٠ وجاء عنه كذلك أنه أخذ الخط عن توقانى أحمد أفندي وأن خطه كان حسنا خصوصا في النسخ والثلث والتوقيع ، وهو ما كان بين الثلث والنسخ (٦) ٠

لذلك لاغرابة أن هفت نفوس سلاطين آل عثمان الى أن تكون لهم صلة بالحرمين الشريفين وأن يدعموا سلطانهم بهذه الصلة ٠ وكان لسلاطين مصر المماليك سلطان على بلاد الحجاز ، وكان من ألقابهم « خادم الحرمين الشريفين » ٠ وقد جاء أن السلطان سليم بعد انتصاره على السلطان قانصوه الغورى في موقعة مرج دابق سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) دخل مدينة حلب فخطب له الخطيب وأضفى عليه لقب « خادم الحرمين

١ ـ بروكلمان ، ص ٤٣٤ وما بعدها وص ٤٨٠ ٠
٢ ـ بروكلمان ، ص ٤٣٢ ٠
٣ ـ بروكلمان ، ص ٤٥٥ وما بعدها ٠
٤ ـ بروكلمان ، ص ٤٥٥ ٠
٥ ـ دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الثاني عشر ، مادة سليمان ص ١٥٣ ٠
٦ ـ محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي الخطاط : تاريخ الخط العربي وآدابه ، ص ٢٦٩ ٠

الشريفين ، ففرح بذلك واستبشر،خلع على الخطيب حلته التي كانت عليه (١) · وقد دخل الحجاز في لماعته بالتبعية دون قتال (٢) · وجاء أنه أرسل المحمل في موسم الحج ومعه خلعة للكعبة المعظمة وخلعتان لوالي مكة الشريف بركات ولابنه الشريف أبي نمي ، وأنه رتب لاهل الحرمين الشريفين رواتب من القمح يصفها القطبي بأنها « أول صدقات الحب الشريف السلطاني » ، ومجموعها سبعة آلاف أردب ، ألفا أردب لاهل المدينة وخمسة آلاف أردب لاهل مكة (٣) · ويذكر القطبي كذلك أن سليما كان كثير الاحسان والعطف على أهل الحرمين الشريفين وأنه أرسل الامير مصلح الدين بك الى مكة بالصدقات وبكسوة الكعبة الشريفة وبالمحمل الشريف الرومي (٤) · وهكذا كان السلطان سليم أول من حمل لقب « خادم الحرمين الشريفين » من سلاطين آل عثمان ·

وجاء عن السلطان سليمان أنه جدد عمارة الحرم النبوي سنه خمس وثلاثين وتسعمائة (٥) ، وعمر كثيرا في الكعبة المعظمة ، وجدد سقفها ، وصفح بابها بالذهب ، وأصلح رخام المطاف وأنه أرسل الى كل من مكة والمدينة منبرا من الرخام (٦) · ويذكر القطبي أنه أدرك الباب الشريف مصفحا بالفضة وأنه كان يختلس من فضته الى أن انكشف الخشب من أسفله فبرز أمر السلطان بتصفيحه بالفضة في سنة احدى وستين

---

١ ـ القطبي ، ص ٢٣٧ ·
٢ ـ أنيس ، ص ١٢٧ و ١٢٩ ، الشناوي ، ص ٥٨١ و ٦٨١ ·
٣ ـ القطبي ، ص ٢٤٤ ·
٤ ـ القطبي ، ص ٢٤١ ·
٥ ـ وهي السنة المذكورة في اللوح المقتنى ·
٦ ـ دحلان ، ج ٢ ، ص ١٩٦ وما بعدها ، حسين عبد الله با سلامة ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٩٣ و ٢٣٩ ، وقد وصف دحلان منبر مكة بانه من تحف الدنيا ، ووصفه با سلامة بأنه لا نظير له ، وهو حقا قطعة فنية ممتازة ولايزال قائما في الحرم الشريف أمام الكعبة المعظمة ·

وتسعمائة (١) ٠ هذا وكان قد سبق له في عام واحد وثلاثين وتسعمائة أن أمر بتجديد عمارة باب بنى شيبة (باب السلام) ، أحد أبواب المسجد الحرام ، وهو ما كان يشهد به ما كان منقوشا على عقوده (٢) ٠

وجاء كذلك أنه ضعف الصدقات والصرر لاهل الحرمين وزاد صدقة الحب وخصص لها قرى في مصر جعل ريعها لاهل الحرمين (٣) ، وأنه وقف قرى اشتريت من بيت المال وألحقها بأوقاف كسوة الكعبة الشريفة في كل عام (٤) ٠ ويذكر القطبي أن من خيراته اجراء العيون ومن أعظمها اجراء عين عرفة الى مكة المشرفة ٠ ويزيد على ذلك بأن الاوامر الشريفة السلطانية « برزت بأصلاح عين حنين ، واصلاح عين عرفات ، وعين لها ناظرا اسمه مصلح الدين مصطفى من المجاورين بمكة فبذل جهده في عمارتها وأصلح قناتها الى أن جرت عين مكة ودخلتها وجرت من أسفلها من بركة ماجن ، وأصلح عين عرفات وأجراها الى أن صارت تملأ البرك بعرفات ، وذلك في سنة احدى وثلاثين وتسعمائة ، وصار الحجاج يروون من ذلك الماء العذب الفرات بعد ذلك العطش الشديد في يوم عرفات ويدعون لمن كان سببا لاجراء هذه الخيرات » ، (٥) وكان من أعمال السلطان سليمان في مكة المكرمة أيضا انشاء اربعة مدارس في جنوبي المسجد الحرام ليدرس فيها علماء مكة الفقه على المذاهب الاربعة ، وعين لها المدرسون ، وعينت لهم وللطلبة المرتبات من أوقاف السلطان

---

١ - القطبي ، ص ٥٩ ٠
٢ - با سلامة ، ص ١٧٠ وما بعدها ٠
٣ - القطبي ، ص ٢٧٩ وما بعدها ٠
٤ - القطبي ، ص ١٨٨ ٠
٥ - القطبي ، ص ٢٨٥ ٠

بالشام (١) • وهكذا كان للقب « خادم الحرمين الشريفين » الذي أتخذه كل من سليم وسليمان مؤداه ومعناه • أضف الى ذلك أنه منذ وفاة آخر الخلفاء العباسيين في مصر سنة ٩٥٠ هـ (١٥٤٣ م) أصبحت الخلافة في آل عثمان حتى سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) (٢) •

وتسجل نقوش اللوح المقتنى بعد ألقاب السلطان سليمان أنه أمر باعادة اصلاح عين البركة المعروفة ببركة السلم بعد أن انقطع ماؤها وبتجديد بناء البركة بعد ما اندرست معالمها وتهدمت بنايتها •

وفي اعادة اصلاح العين ما يشير الى سبق اصلاحها في عهده • ويزكى هذا ما جاء من أنه أصلح عين عرفات وأجراها في سنة احدى وثلاثين وتسعمائة كما يزكيه كذلك اقتصار القول على تجديد بناء البركة ولم يذكر أنه أعيد تجديد بنائها • فاذا صح ذلك فانه يرجح أنه أقام لوحا عند اصلاح العين أول مرة ولعله لايزال مطمورا في الارض بالقرب من المكان الذي عثر فيه على اللوح المقتنى • وهكذا يدل النص على أداء عملين مختلفين : اعادة اصلاح عين البركة ثم تجديد بناء البركة ذاتها ، أي أنه كان للبركة عين تمدها بالماء اقتضى الامر اعادة تنظيفها مما حجز عنها الماء ، كما اقتضى الامر تجديد بناء جدران البركة لتصلح لحجز الماء فيها • وبذلك تضيف نقوش هذا اللوح الى ما يعرف من أعمال السلطان سليمان مالم يكن معروفا من قبل أو على الاقل تفصل بعض ما أجمله القطبي فيما ذكره من خيرات سليمان من اجرائه العيون بمكة •

---

١ ـ القطبي ، ص ٢٩٣ وما بعدها ، دحلان ، جـ ٢ ، ص ١٩٦ •

٢ ـ أليس ، ص ١١٤ ، يذكر بروكلمان ص ٤٤٩ أن السلطان سليم أعلن نفسه خليفة على المسلمين واستلم مفاتيح الكعبة سنة ١٥١٧ م ، على أنه يعود فيذكر في ص ٤٧٢ أن ما يقال من أن سليما الاول حمل الخليفة العباسي في القاهرة على أن يتنازل عن الخلافة لم يرد الا في رواية متأخرة • على أية حال لقد اتخذ مراد الاول ٧٦١ ـ ٧٩٢ (١٣٥٩ ـ ١٣٨٩) لقب « خليفة الله » بعد فتح أدرنة • بروكلمان ، ص ٤٧٢ ، انظر كذلك أليس ، ص ١١٧ والشناوي ، ص ٥٩٠ •

وفي استخدام لفظ الاشارة مرتين مع لفظ البركة ما يشير الى أن اللوح المنقوش كان في أحد جوانبها ، ويرجح أنه كان في المكان الذي عثر عليه فيه ، اذ من غير المحتمل أن يكون قد نقل من مكانه الاصلي الى مكان آخر لغير سبب ظاهر خاصة وأن ثقله لا يسمح بنقله بسهولة . ويعين المكان الذي عثر فيه على هذا اللوح من جهة أخرى مكان بركة السلم حيث لا يزال جزء كبير من أحد جدرانها ظاهرا فوق سطح الارض بالقرب من مدرسة عثمان بن عفان الابتدائية في حي الششة ، وحيث يشغل مسجد الشيخ ابراهيم آل الشيخ المفتي جزءها الشمالي . ومما بقي من الجدار المذكور يبدو أن طولها من الشمال الى الجنوب لم يكن يقل عن ٣٥ مترا ، وسمك الجدار ١١٥ سنتيمترا ، وهو مبني بأحجار مختلفة الاحجام ، ويقال أن عرضها كان حوالى عشرين مترا . وقد قيل انه عثر على اللوح على عمق متر ونصف تقريبا من سطح الارض الحالي وذلك قريبا من السطح الداخلي لجدار البركة خلف محراب مسجد المفتي . فاذا صح ذلك فلعل اللوح كان مثبتا في الجدار من الداخل بجانب مدخل يؤدي الى درج يفضي الى ماء البركة .

وقد ذكر تقى الدين الفاسي المتوفي عام ٨٣٢ هـ أن بركة السلم بحرم مكة مما يلي منى وعرفة وأنه لا يدري من أنشأها ، وأن الامير المعروف بالملك نائب السلطنة بمصر جددها وعمر القنى التي تصل اليها من منى ، وكان ذلك سنة خمس وأربعين وسبعمائة (١٣٤٤ م) (١) . وجاء كذلك أن أحمد عم أمير مكة سرور بن مساعد لم يترك ابن أخيه ينعم بالهدوء « فقد هاجمه بعد خروجه من مكة في قوة عظيمة فاشتبك القتال بينهما عند بركة السلم في طريق منى ، فهزم العم وانطلق الى البادية وذلك في ٤

---

١ - التقى الفاسي ، جـ ١ ، ص ٣٤٠ و ٣٤٩ ، انظر أيضا : العقد الثمين ، جـ ١ ص ١٢٧ وكذلك درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة لعبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن ابراهيم الانصاري الجزيري ، ص ٣٠٧ ، وقد جاء فيها ان نائب السلطنة في مصر عمر « البركة التي بطريق منى المعروفة ببركة السلم وأجرى العين من منى اليها » .

ذي الحجة عام ١١٨٦ هـ (١٧٧٢ م) »(١) • ولا يخلو من مغزى أنه ورد أن سودون قطع جميع أشجار السلم والشوك في طريق عرفة (٢) •

وأمير الحرمين الذي ورد اسمه في نقوش اللوح هو محمد أبو نمي الثاني • وأبوه بركات بن محمد بركات ولاه الملك الناصر محمد بن قايتباي ولاية مكة سنة ثلاث وتسعمائة (١٤٩٧ م) ، على أنه نشبت بينه وبين اخوته عدة معارك أدت الى تخليه عن الولاية أكثر من مرة (٣) • وقد طلبه السلطان قانصوه الغوري في مصر ولكنه اعتذر وأوفد عنه ولده محمدا أبا نمي وكان عمره اثنى عشر عاما • وقد أكرم الغوري وفادته وأنعم عليه بامرة مكة شريكا لابيه (٤) • ولما استولى السلطان سليم على الشام ومصر قصد أبو نمي مصر يحمل الى السلطان التهاني ومفاتيح الحرمين الشريفين ، وقد تلقاه السلطان سليم لقاء حسنا وأقره هو وأباه على امارة مكة (٥) • وقد ظل فيها مشاركا أبيه في الولاية حتى توفي أبوه عام احدى وثلاثين وتسعمائة (١٥٢٤ م) ، وعندئذ انفرد محمد أبو نمي بالولاية وكان ذلك في عهد السلطان سليمان • وفي ست وأربعين وتسعمائة (١٥٣٩ م) أشرك معه ابنه أحمد ، ويذكر دحلان أن طائفة من أهل البرتغال نزلوا في جدة فأعلن أبو نمي الجهاد ، ولما رأى البرتغاليون صبره وحصاره لهم ارتلوا عن جدة • وعندما علم السلطان سليمان بذلك زاد في اكرام أبي نمي

---

١ ـ أحمد السباعي : تاريخ مكة ، ج ٢ ، الطبعة الثانية ، ص ٨٦ عن افادة الأنام ، للشيخ عبد الله غازي ، مخطوط •

٢ ـ انظر ص ٤٥ ملحوظة ٢ •

٣ ـ ابن ظهيره : الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف ، الطبعة الثانية ، ص ٣٢٣ وما بعدها • انظر أيضا الملحق الاول في نهاية الجزء الاول من كتاب التقي الفاسي : شفاء الغرام ، ص ٣٠٠ وما بعدها ، وكذلك السباعي ، ج ٢ الطبعة الثانية ، ص ٧ وما بعدها •

٤ ـ دحلان ، ج ٢ ، ص ١٦١ •

٥ ـ ابن ظهيره ، ص ٣٢٣ وما بعدها ، دحلان ، ج ٢ ، ص ١٦١ وما بعدها ، أنيس ، ص ١٢٩ ، الشناوي ، ص ٥٨٢ ، السباعي ، ج ١ ، الطبعة الثالثة ، ص ٢٧٩ وما بعدها و ٢٨٥ ، ج ٢ ، الطبعة الثانية ، ص ٧ و ٨ وما بعدها • ذكر القطبي أبا نمي تارة بلقب جمال الدين (ص ٢٤٢) وتارة بلقب نجم الدين (ص ٢٨٧) •

« وسمح له بنصف معلوم جدة » (١)٠وفي سنة احدى وستين وتسعمائة (١٥٥٣ م) توفى ابنه أحمد فأشرك أبو نمى معه ولده الثاني حسن الى أن توفى أبو نمى سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة ٠

والتاريخ الوارد في نهاية اللوح هو السنة الخامسة والثلاثون وتسعمائة هجرية وهي السنة العاشرة من حكم السلطان سليمان وتقابل ١٥٢٨ ميلادية ٠ ومما يلفت النظر أن العبارة التي يتضمنها المستطيل الايمن في أسفل اللوح ، وهي في سطرين ، تبدأ قراءتها على غير المعتاد من السطر الثاني ثم السطر الاول ٠ ويشمل المستطيل الايسر تتمة العبارة المذكورة في المستطيل الايمن ، ومع أن قراءتها لا تخلو من شك الا أنه يبدو أنها تبدأ من السطر الثاني أيضا ٠ وبذلك يمكن قراءة ما يتضمنه المستطيلان على النحو التالي :

« وذلك على يد الفقير الى الله تعالى مصطفى ناظر ؟ عين مكة المشرفة » ٠ وفي أعلى يسار المستطيل الايسر « لطف لله » ، ويبدو أنه فات الكاتب أو النقاش أن يكتب الالف في لفظ الجلالة ٠ وهنا لا معدى عن التساؤل عما اذا كان « لطف الله » هو بقية اسم ناظر ؟ عين مكة ، أو هو توقيع النقاش ٠ ثم ألا يمكن أن يكون مصطفى هذا هو مصلح الدين مصطفى الذي عين ناظرا لعين عرفة في عهد السلطان سليمان ؟ (٢)

ويلاحظ في كتابه نقوش اللوح أن النقاش شكل بعض الحروف مثل الشدة فوق الراء في لفظى الرحمن والرحيم وفوق لفظ الجلالة ، ومثل الفتحة فوق السين في « سيدنا » والفتحة فوق الباء والكسرة تحت الهمزة في « ببقاء » ٠ وقد أهمل كتابة الهمزة فوق أو تحت الالف في كثير من الكلمات مثل « الاسلام » و « الاعظم » و « أمر » و « بأعادة » و « اصلاح » و « أماراتها »

و « أمير » و « أبو » و « أدام » و « أفضل » ، كما أنه أهمل كذلك كتابة المدة فوق الالف في « آله » و « آل » ٠ وقد ربط كلمتي « متع الله » معا في صورة جميلة ٠

---

١ ـ دحلان ، جـ ٢ ، ص ١٩٤ وما بعدها ، السباعي ، جـ ١ ، الطبعة الثالثة ، ص ٢٨٥ وما بعدها ، جـ ٢ ، الطبعة الثانية ، ص ٩ ، يذكر الشناوي ص ٥٨٢ ملحوظة ١ أن البرتقاليين فوجئوا بريح صرصر قبل أن يصلوا الى جدة وبذلك فشلوا في الاستيلاء عليها ، على أن اعلان الجهاد ومكافأة السلطان سليمان تضعف هذا الرأي ٠

٢ ـ انظر أعلاه ص ٥٨ ٠

واستخدم النقاش بعض العلامات لملء الفراغ كما في أول السطر الاول تحت كلمة « متع » ، وكما في نهاية السطر الثالث . ومن الحروف ما يخلو من النقط كما في النون في « المسلمين » في السطر الاول ، والثاء في « عثمان » والباء في كل من « الحسب النسب » والتاء في « بركات » ومن الكلمات ما تنقصه بعض الحروف مثل الهمزة في « بناء » و « ابتغاء » والالف في « ابن » في السطر الرابع ، والهاء في « هذه » في السطر السابع لضيق المكان ، وكالتاء المربوطة في « الهجرة » في السطر الثالث عشر . وقد كتب النقاش الهمزة في « ماؤها » بغير واو ، ولم يكمل نقش اللام في « بطول » في السطر الثامن ، وكتب « لسائر » في السطر التاسع بالياء ووضع همزة مفردة في آخر الكلمة في نهاية السطر ، وكتب « مرضاة » بتاء مفتوحة . وقد مزج لفظي « جمال الدين » معا بحذف لام وألف منهما ، وكتب أبي في « محمد أبى نمى » بالواو بدلا من الياء ، وكتب « بن » في « أبي نمى بن بركات » بالالف ، وكتب « تسعمائة » بالياء بدلا من الهمزة على نبرة ، وكتب « الصلاة » بالواو بدلا من الالف .

والسهو في نقص بعض الحروف من بعض الكلمات قد يرجع الى النقاش ، أما الخطأ في الهجاء وفي قواعد النحو فيرجع فيما يظن الى الكاتب الذي كتب النص ، على أن اقرار النقاش له لا يخليه من التبعة ، وان كان قد أجاد الخط في ذلك الزمن البعيد مما يعد من حسناته ، اذ يعتبر خطه نموذجا حسنا للخط الجيد في عهد السلطان سليمان . ومامن ريب في أن السلطان آنذاك كان أقدر الناس على أن يستخدم أحسن الخطاطين .

وأخيرا لنا أن نتساءل عما اذا كان اللوح الذي نحن بصدده قد نقش في مكة المكرمة أو في استانبول . يساعد في الاجابة على ذلك أن مادة اللوح من الاحجار المتوفرة في منطقة مكة ، يضاف الى هذا أن ثقل اللوح لا يسمح بالظن بنقله بسهولة من مكان بعيد مثل استانبول . علاوة على هذا فان في تخصيص سطرين في أواخر النص لاسم أبي نمي ، أمير الحرمين ، مصحوبا بالقابه والدعاء له بدوام أيامه يحمل على الاعتقاد بأن اللوح انما نقش في مكة المكرمة بعلم هذا الأمير وبتوجيهه . وقد يزكى ذلك ما ذكره التقى الفاسي المتوفي سنة ٨٣٢ هـ من أن المدارس الموقوفة

بمكة في زمنه كانت احدى عشرة مدرسة على قدر ما يعلم (١) وكان من الامراء ومن سلاطين الهند من أنشأ المدارس والرباطات في مكة (٢) .
ويذكر القطبي أن السلطان قايتباي أمر وكيله وتاجره الخواجا شمس الدين محمد بن عمر الشهير بابن الزمن « أن يحصل له موضعا مشرفا على الحرم الشريف ليبني له مدرسة يدرس فيها علماء المذاهب الاربعة .. ويعمر له ربوعا مسقفات يحصل منها ريع كثير يصرف منه على المدرسين » ، وكان الفراغ من بنائها في سنة أربع وثمانين وثمانمائة (٣) .

وجاء كذلك أنه كان في مكة مدرسة « لصاحب كيبانة السلطان أحمد شاه ، سلطان كجران من أقاليم الهند » وأنها كانت « بيد » القطبي على حد قوله ، أي كان المسئول عنها والمشرف عليها (٤) . وقد بنيت في مكانها وفيما جاورها المدارس الاربعة التي أمر السلطان سليمان بأنشائها للمذاهب الاربعة ، ويذكر القطبي بأنه أنعم عليه بالمدرسة الحنفية السليمانية في سنة خمس وسبعين وتسعمائة (١٥٦٧ م) . وفضلا عن ذلك كله لقد جاء أنه كان للحرم الشريف كاتب يسمى محمد جاويش كانت له « فضيلة الكتابة وحسن الخط » (٥) . وغني عن الذكر أن المدارس المذكورة لابد أن هيأت الجو الصالح في مكة المكرمة لبعض الافراد لاجادة الخط العربي .

---

١ ــ التقى الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٣٢٨ وما بعدها ، العقد الثمين ، جـ ١ ص ١١٧ وما بعدها .

٢ ــ يذكر القطبي في ص ١٦٠ أن الامير شرف الدين اقبال الشرابي المستنصري العباسي « بنى بمكة مدرسة على يمين الداخل الى المسجد الحرام من باب السلام ووقف فيها كتبا كثيرة في سنة احدى وأربعين وستمائة (١٢٤٣ م) » وأنها كانت باقية في زمانه . انظر كذلك ص ١٧٧ .

٣ ــ القطبي ، ص ١٩٧ وما بعدها . انظر كذلك أعلاه ص ٥٨ ــ ٥٩ .

٤ ــ القطبي ، ص ٢٩٣ وما بعدها .

٥ ــ القطبي ، ص ٦٥ وما بعدها .

مطابع دار الثقافة بمكة المكرمة
١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م

